جـامعة الدكتـور يحي فـارس بالمديـة

كلية العلـوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

التسامح الديني وآثاره على الدولة العثمانية

من عهد السلطان محمد الفاتح إلى عهد السلطان سليمان القانوني

(858هـ – 971هـ/1453م – 1566 م)

مذكّرة مقدّمة لنيل على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

أعضاء اللجنة المناقشة:

- ✓ الأستاذ : عبد الرحمن نواصر رئيسا
- ✓ الدكتورة :نادية طرشون مشرفة ومقررة
- ✓ الأستاذة: لطيفة حمصي مناقشة

من إعداد :

- خديجة بوخيط
- عفاف مزيان

تحت إشراف الدكتورة

نادية طرشون

السنة الجامعية: 1436–1437هـ /2015–2016م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر و تقدير

نشكر الله عزوجل الذي قدرنا على إتمام هذا العمل.

ثم نتقدم بجزيل الشكر إلى من أشرفت على هذا البحث الدكتورة "طرشون نادية" فجزاها الله كل خير ولها منا كل التقدير والاحترام كما نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى الدكتور الغالي غربي و لأساتذة كلية العلوم الانسانية" قسم التاريخ " وذلك لما بذلوه مخلصين في مسؤولياتهم العلمية تجاهنا، كما نشكر اللجنة العلمية التي شرفتنا بقبولها مناقشة دراستنا كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث من بعيد أو قريب .

إهداء

إلى روح أختي طاهرة رحمة التي فقدتها هذا العام، إلى منبع الصدق الحنان أمي "زينب مولوة" إلى الذي عمل بكد في سبيل نجاحي وسهر على تعليمي ودفعني إلى طريق النجاح أبي" لخضر" إلى أخي الوحيد حاج سعيدي

إلى أختي عقيلة وزوجها أحمد وبناتها ماريا، ريماس، نور اليقين، رنيم، إلى أختي عائشة وزوجها توفيق وبناتها ملاك ووسام، إلى أختي الصغيرة خولة التي رقنت جزءا كبيرا من المذكرة

إلى روح معلمي سعيدي بن سعدة إلى أستاذتي الفاضلة عالي التالية والأستاذة زفزاف سعيدة

إلى صديقاتي صفية، خديجة، فاطمة، سهام، خليدة، سميرة، دون أن أنسى سارة براف

خديجة

إهداء

إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها وكان دعائها سرا لنجاحي إلى أغلى كلمة نطق بها لساني أمي الغالية "فاطمة"

وإلى الذي غرس في مبادئ الأخلاق وشملني بالعطف والحنان أبي الغالي"موسى"

إلى من أهداه القدر لي ولم يبخل من اجل دفعي إلى طريق النجاح وكان سندا لظهري بالحياة زوجي الغالي"رضوان"

إلى جميع أخواتي"سارة و ابناءها'عزيزة'بشرى'شيماء'هاجر" و إلى صديقاتي العزيزات

عفاف

قائمة المختصرات

تحقيق	تح
ترجمة	تر
دون طبعة	د ط
مراجعة	مر
عدد	ع
جزء	ج
طبعة	ط
تعليق	تع
تقديم	تق
دون سنة	د.س
دون بلد	د.ب
صفحة	ص
دون دار النشر	د د ن
تعليق	تع
هجري	هـ
ميلادي	م

مقدمة

أرادت الدولة العثمانية تحقيق دولة إسلامية واسعة الأركان والأرجاء، فاتخذت منذ البداية مبدأ الجهاد راية لها، لتمتد فتوحاتها على ثلاث قارات أسيا وإفريقيا و أوربا وعملت خلال هاته الفتوحات على ترسيخ حكمها، ما كان ذلك ليتجسد لولا تسامحها الديني الذي طبقه السلاطين العثمانيون في سياسة حكمهم، ولقد استمدت الدولة العثمانية هذا المنهج من الشريعة الإسلامية علاوة على اعتمادها على المذهب الحنفي، لذا عمل السلاطين على انتهاج سياسة التسامح الديني في تعاملهم مع شعوب البلدان المفتوحة منذ تواجدها في الدولة السلجوقية في الأناضول وصولا إلى فتحها العاصمة البيزنطية استانبول.

إن هذا التسامح يظهر لنا بشكل واضح وجلي في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي من خلال التسامح الذي قدمه السلطان **محمد الفاتح** لاهل الذمة إبان فتح القسطنطينية والتسامح السلطان **بايزيد** مع اليهود المطرودين من الأندلس ليبلغ هذا التسامح ذروته في القرن السادس عشر مع السلطانين "**سليم الأول**"و"**سليمان القانوني**" فالسلطان "**سليم**" ضمت خلال فترة حكمه البلاد العربية والتي تحتوي على قدر هائل من هاته الملل والطوائف الذي حاول جاهدا إعطاءها حقها الديني ،أما **سليمان المشرع** فسار على هذه السياسة فضلا على إضفاء لمسته من خلال توسيعه نطاق التسامح الديني ليشمل الرعايا الأجانب والذي جسد في معاهدة الامتيازات 1536م، وفي ظل هذه السياسة التي انتهجها سلاطين بني عثمان في التعامل مع رعاياهم، شمل هذا التسامح عدة جوانب منها الإدارية و السياسية وحتى الاقتصادية.

لقد ساعدت سياسة التسامح الديني الدولة العلية على تنظيم الأوضاع الداخلية للبلاد والتي انعكست بدورها على المعاملات الخارجية وهكذا كله بغية تدعيم ركائز الحكم في الدولة من جهة وبث الأمن والاستقرار في الدولة من جهة أخرى من خلال هدا المنطلق يمكننا أن نتعرف على سياسة السياسة التسامح الديني في الدولة العثمانية ومدي مصداقية تطبيق هاته السياسة ومدى نجاعة هذه السياسة والآثار المترتبة عليها.

أسباب اختيار الموضوع :

لعل من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذه الدراسة، رغبتنا في معرفة احد الأسس المهمة التي مكنت الدولة العثمانية من الصمود على مدار ستة قرون وكذلك إدراكنا لأهمية البحث في هذا الجانب، وإبراز الخلفية الإسلامية المتينة للسلاطين العثمانيين ومدى تطبيقها على ارض الواقع علاوة إلى مدى نجاعة هاته السياسة كما أن هناك فئة قليلة من كتبت في هذا المجال لذا أردنا أن نساهم ولو بالقليل الذي توفر بين أيدينا لإثراء هذا المجال أما عن السبب الذي جعلنا نخصص مجال بحثنا في فترة القرن الخامس عشر والسادس عشر ميلادي فيعود إلى عظمة شخصية السلطانين **محمد الفاتح وسليمان القانوني** فضلا على ثقلهما سياسي إذ إن هاذين السلطانين بالذات كان لهما فتوحات كثيرة خلدت في التاريخ وكما نعلم أن هاته الفتوحات مرتبطة بتطبيق سياسة التسامح أو عدمها بالإضافة أن هناك اختلاف بين السلطانين في تطبيق هاته السياسة ويكمن هذا الاختلاف في إضافة "**السلطان سليمان**" لسياسة التسامح تسامحا من نوع آخر تجلى في تسامحه مع الرعايا الأجانب.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذه الدراسة في سد النقص الذي تعاني منه هذه الدراسات فيما يتعلق بموضوع التسامح الديني، وتأخذ الدراسة أهمية اكبر في محاولة التغلغل في فحوى التسامح الديني ومدى تطبيقه ونجاعته في تحقيق الأمن والاستقرار داخل الدولة العثمانية سواء مع أهل الذمة من رعايا الدولة أو مع الرعايا الأجانب من مختلف الديانات والمذاهب.

الإشكالية:

و قد أردنا من خلال دراستنا لهذا الموضوع الإجابة عن الإشكالية التالية **إلى إي مدى تم تطبيق التسامح الديني في الدولة العثمانية خلال القرنين 9ه/10ه الموافق ل15م/16م** أي في فترة **(858ه – 971ه/1453م – 1566 م) ؟وما هي الآثار المترتبة عن هذه السياسة ؟**

وتنحدر عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية منها هل يعتبر التسامح الديني وليد الدولة العثمانية أم له خلفية إسلامية ؟كيف تم تطبيقه خاصة مع اتساع الرقعة الجغرافية للدولة ؟والى أي مدى أسهم في استقطاب غير المسلمين ؟وما هي الآثار المترتبة عن هذه السياسة ؟

المنهج المعتمد:

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي، الذي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية فيما يتعلق سياسة التسامح السلطان "**محمد الفاتح والسلطان سليمان المشرع** "، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في التطرق إلى الآثار المترتبة عن التسامح الديني.

الخطة المنتهجة:

لقد احتوت دراستنا هذه على خطة تضمنت: مقدمة ومدخل وأربع مباحث بالإضافة إلى خاتمة تطرقنا في المدخل إلى التسامح الديني قبل "**محمد الفاتح** "بحيث تضمن الحديث عن سياسة التسامح الديني منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدون وكيف استمد العثمانيون الأوائل منهم هذه السياسة.

أما المبحث الأول والذي جاء تحت عنوان "**نظرة الدولة العثمانية المتسامحة من خلال محمد الفاتح** "والذي احتوى على ثلاثة مطالب، تطرقنا في المطلب الأول للتعريف بشخصية السلطان "**محمد الثاني** "أما الثاني درسنا من خلاله تعامله مع أهل الذمة بعد فتح القسطنطينية وأخذنا المسيحيين كأنموذج أول في تعاملاته بينما خصص المطلب الثالث لملة اليهود كمرتبة ثانية

أما المبحث الثاني والذي حمل عنوان "**سياسة التسامح في عهد السلطان بايزيد الثاني وابنه سليم الأول** "و قسمناه إلى ثلاثة مطالب تحدثنا في المطلب الأول عن شخصية كل سلطان، أما المطلب الثاني درسنا من خلاله سياسة التسامح عند سلطان "**بايزيد الثاني**"، أما في المطلب الأخير تضمن الحديث عن سياسة التسامح في عهد "**سليم الأول**".

أما المبحث الثالث والمعنون ب "**مظاهر التسامح الديني من خلال السلطان سليمان القانوني**" تطرقنا من خلاله إلى ثلاث مطالب الأول تصمن شخصية السلطان "**سليمان القانوني**"، أما الثاني اختص بالحديث عن نظام الدوشرمة كمظهر من مظاهر سياسة التسامح الديني أما الثالث فلقد خُصص لتعامل السلطان "**سليمان القانوني**" مع أهل الذمة داخل الدولة العثمانية كما تطرقنا إلى تعامل السلطان مع الرعايا الأجانب في إطار ما يعرف بمعاهدة الامتيازات 1536م.

و المبحث الأخير جاء بعنوان "**أثار التسامح الديني على الدولة العثمانية** "قسمناه إلى مطلبين اثنين عرضنا في المطلب الأول الآثار الايجابية المترتبة عن سياسة التسامح الديني وكيف استفادت الدولة العلية منه أما الثاني تضمن الحديث عن الآثار السلبية لسياسة التسامح الديني وكيف ساهمت هاته السياسة في الإطاحة بالخلافة العثمانية.

المصادر و المراجع :

اقتصرت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع ولعل أهمها:

كتاب الدولة العثمانية العلية لصاحبه **محمد فريد** بك محامي الذي حقق من طرف **إحسان حقي** بدأ المؤلف الكتاب بمقدمة تاريخية في من تولى الخلافة الإسلامية قبل سلاطين الدولة العثمانية وصولا لفترة المماليك أما المتن فلقد خصص للحديث عن تاريخ الدولة العثمانية من السلطان الغازي **عثمان خان** وصولا إلى **السلطان محمد** خان الخامس 1918/1909م.

أما عن المراجع التي استفدنا منها خلال دراستنا هذه فنجد:

كتاب الدولة العثمانية مجهولة لصاحبيه" **سعيد أوزتورك واحمد أق كوندوز**" هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من التساؤلات بمقدار 303سؤال وجاء كل جواب في شكل مقال وهات الإجابات كانت في غالبيها الأجوبة الشافية والكافية حول الدولة العثمانية ومست التساؤلات مختلف جوانب الدينية سياسية والاقتصادية والعسكرية والحضارية والاجتماعية الدولة العثمانية من نشأة الدولة العثمانية إلى غاية سقوطها سواء أكان في جانب الايجابي للدولة أم الجانب سلبي كما تضمنت هاته التساؤلات شخصيات سلاطين بني عثمان واهم الحوادث التي اختصت بكل سلطان.

أما المرجع الثاني الدولة العثمانية في التاريخ والحضارة لصاحبه **أكمل الدين إحسان أوغلي** الذي جاء في مجلدين اثنين سلط الضوء من خلال هذا الكتاب على مختلف الجوانب التاريخية والحضارية التي تخص الدولة العثمانية.

المرجع الثالث الدولة العثمانية لمؤلفه يلماز أوزتونا ترجمة عدنان محمود سلمان يقع الكتاب في مجلدين اثنين الأول عُرض فيها التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية منذ ظهورها إلى انحلالها أما الثاني فخُصص للحضارة الدولة العثمانية في جميع الجوانب.

الصعوبات:

إن من أهم العراقيل والعقبات التي وجاهتنا خلال عملية انتقاءنا للمادة العلمية قلة الكتب المتخصصة في موضوع سياسة التسامح الديني في الدولة العثمانية خلال القرن 15و16م فلم نجد أي كتاب يحمل عنوان هذه الدراسة حتى وان كان عنوانا فرعيا حيث وجدنا صعوبة في جمع المعلومات إضافة إلى ندرة المصادر والوثائق العثمانية التي تناولت هذا الموضوع على مستوى مكتباتنا الوطنية كما أن مدة دراسة الموضوع قصيرة جدا لذا لم نستطع الإلمام بمختلف جوانب الموضوع.

ولكن بفضل الله وقدرته استطعنا أن نتغلب على بعض الصعوبات كما أن خبرة أستاذتنا المشرفة وإرشاداتها المتواصلة سهلت لنا دربنا فاستطعنا إخراج هذه الدراسة في حلتها النهائية.

وفي الأخير نحن من البشر يمكن أن نصيب ونخطئ «فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد واخطأ فله اجر» والله هو المعين والموفق.

المدخل

التسامح الديني قبل محمد الثاني:

إن الآيات القرآنية الواردة في موضوع النهي عن إكراه الناس في الدين[1] تشير إلى المعاملة المتسامحة نحو معتنقي الأديان الأخرى في المجتمع الإسلامي ومما لاشك فيه أن الوثائق التي أبرمت مع الطوائف و الجماعات غير الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين توضح صراحة انه حصلوا حينئذ على حرية الدين والعقيدة بشكل واضح.

وحينما أقام الرسول الكريم أول دولة إسلامية في المدينة المنورة، لم يجد ضيرا في محالفة المسلمين مع اليهود، ولقد سار الخلفاء في شتى العهود الإسلامية على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهجه، فأحسنوا معاملة أهل الذمة وتغاضوا عن كثير من أخطار وتجاوزات الأخريين[2]، إذ غرس التسامح الديني في جسم الأمة الإسلامية منذ العهود الأولى للإسلام كون أن هذا التسامح الذي جاء به القرآن هو الذي أرشد "**عمر بن الخطاب**" رضي الله عنه إلى رجال دواوينه من الروم ومشى الخليفتان الآخران من بعده على خطاه وملوك بن أمية من بعده كذلك [3].

هذا دليل قاطع على مدى سعة صدر الإسلام وترحيبه بأهل الكتاب باعتبارهم أديان سماوية يجب احترامها رغم ما تعرضت له من تحريف، وإذا كانت السماحة إستراتجية الرسول الكريم مع يهود يثرب إلا انه راعى عدة جوانب بحيث منعهم بالتمركز في بقعة واحدة، ولاسيما في العواصم والثغور التي يسهل اتصالهم المباشر منها بجهات أجنبية، وتشدد في إبعادهم عن المناصب الحساسة والوظائف التي يمكن أن يشكلوا من خلالها مراكز قوى يمكن أن تزعزع الأمن الداخلي للدولة في أي ظرف من الظروف [4].

وفي أوائل القرن الرابع عشر ميلادي ظهرت إمارة صغيرة في الحدود الفاصلة بين الدولتين السلجوقية والبيزنطية التي تحولت في فترة قصيرة إلى دولة عثمانية عظمى تشمل رقعة واسعة من العالم.

---

1 – سورة البقرة، الآية 256، سورة يونس، الآية 99، سورة الكهف، سورة الكهف، الآية 29.

2 – موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض**، د.ط، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984م، ص178.

3 – ماجد بن صالح المضيان، **اثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة (926هـ–1343هـ/1520م–1924م)**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1995م، المملكة العربية السعودية، ، (مرقونة)، ص58.

4 – موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص184.

امتدت بين قارات أسيا وإفريقيا وبعض أجزاء أوربا، وقد احتفظت الديانات الأخرى بأحقيتهم الدينية فعاشوا مع المسلمين جنبا إلى جنب في ظل التسامح الديني[1]، فإحدى الاستراتجيات التي تبنتها الدولة العثمانية في إدارة مؤسساتها هي الاعتراف بالولاء لكل جماعة والقبول بخصوصياتها على المستوى العرقي والحقوقي فلم تتبنى الدولة أي ممارسة قهرية أو عنصرية وكان ينظر إلى المواطنين في جميع الأقاليم على أنهم رعايا السلطان [2].

ونتيجة لذلك بدت الدولة في سياستها اتجاه البلدان المفتوحة عادلة إذ لاقوا ترحيبا من قبل السكان كونهم كانوا لا يزالون يعيشون تحت ظلم الحكم والحكام أنفسهم. فالسلاطين العثمانيين بذلوا جهدا كبيرا في الفتح وفكروا في التعامل مع الغير، متبعين أسلافهم المسلمين في حسن التعامل مع أهل الذمة وعدم أذيتهم إذا رضخوا وأعلنوا ولائهم.

فأهل الذمة منحهم التشريع الإسلامي الحق في ممارسة حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مكتفيا بأداء المكلفين منهم للجزية وكانوا يعملون معاملة المسلمين وكان الخلفاء والأمراء والولاة يشاركونهم في أعيادهم واحتفالاتهم يكرمون ويجالسون أساقفتهم وكبراءهم وقد وصل بعضهم إلى منصب الوزير في عهود مختلفة [3].

وقد عامل السلاطين العثمانيون أهل الكتاب بالكرم والتسامح ففي عهد الأمير أورخان بن عثمان (1326م/1356م) سمح لليهود بإقامة حارة ومعبد خاص بهم في مدينه بورصة عاصمة الإمارة العثمانية كما أن عهد السلطان في **مراد الثاني** (1421م/1451م)منح لليهود حق تملك الأراضي، ونقدم إليه مجموعة من حاخامي اليهود في أوربا بطلب السماح لهم بالهجرة إلى الدولة العثمانية دون قيد أو شرط ولقبه اليهود ب "**الرجل الإنساني الكبير** "[4].

---

1 – بان غانم احمد الصائغ، "**سياسة بريطانيا اتجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية 1839/1914م دراسة تاريخية** "، مجلة التربية والعلم، ع5، كلية العلوم السياسية، الموصل، 2012م، ص11.

2 – كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م–1908/1هـ –1325هـ)**، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 2002م، ص312.

3 – موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص176.

4 –بان غانم احمد الصائغ، المرجع السابق، ص13.

لقد كانت الدولة العثمانية أكثر تحررا من الدول الأوربية المعاصرة لها لأنها كانت تسمح بوجود ديانتين المسيحية واليهودية ومذاهب دينية مختلفة في بلادها بجانب الدين الإسلامي[1]، ونلاحظ أن العثمانيين ساروا في نشرهم للإسلام بين تلك الشعوب المسيحية على ما نصت عليه الآية الكريمة لقوله عز وجل﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ [2]

فالدولة العثمانية هي التنظيم السياسي الوحيد الذي اعترف رسميا بالأديان السماوية الثلاث، و اوجد نظامها السياسي تعايشا سلميا يسوده الانسجام، فقد بلغ عدد القوميات فيها حوالي ستين قومية[3]، إذ تكيف الدولة العثمانية مع أقلياتها لاسيما فيما يتعلق بإقرارها البلدان المفتوحة والسماح لهم بإدارة مؤسساتهم وإتباع نظام الملة في تلك المناطق، له دورا كبيرا في استمرارية الدولة [4].

بحيث أن هذه السماحة الدينية التي عايشها غير المسلمين في البلاد الإسلامية والمسلمين الذين لطالما اعتبروهم أعداء لهم مهدت لدخول تلك الشعوب في الإسلام [5].

فالسلاطين العثمانيين أعطوا للعالم الأوربي دروسا خاصة في تسامح الديني مع أهل الذمة وبرهنوا في العديد من المرات على مدى سماحة الدين الإسلامي وعدالته في جميع جوانب الحياة ومع مختلف الأجناس والديانات.

---

1 - موسى موسى نصر، **صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص14.

2 - سورة البقرة، الآية 256.

3 - احمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003م، ص9.

4 - كمال السعيد حبيب، المرجع السابق، ص316.

5 - احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص11.

المبحث الاول

نظرة الدولة العثمانية المتسامحة من خلال محمد الفاتح

أولا:السلطان محمد الفاتح.

ثانيا:تعامله مع أهل الذمة "المسحيين " .

ثالثا:تعامله مع اليهود.

أولا– السلطان محمد الثاني (الملقب بالفاتح):

إنه لمن مفاجآت القدر أن يكون سابع سلاطين بني عثمان هو صاحب بشارة النبي صلى الله عليه وسلم التي بشر بها المسلمين من بعده في حديثه عن فتح القسطنطينية {**لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذاك الجيش** }فلنعلم السلطان "**محمد الثاني**" فقد عمل على تحقيق هذا الحلم الذي لطالما عمل أسلافه من السلاطين على تحقيقه وخاصة "**السلطان بايزيد**".

1–مولده و نشأته :

ولد **محمد الثاني** في سراي أدرنة الهمايوني على الساعة الثالثة وثمان دقائق من صباح يوم[1] 26 رجب سنة 833هـ، الموافق لـ 20أفريل 1429م، وهو سابع سلاطين السلالة المملوكية العثمانية[2]، وهو ابن السلطان مراد الثاني[3]، اشتهر محمد الثاني في التاريخ بلقب **محمد الفاتح** وأبي الخيرات لفتحه القسطنطينية[4].

قضى سلطان **محمد الثاني** طفولته بأدرنة بجوار والده وتحت رعايته وقد اهتم بتنشئته وتربيته جسميا وعقليا ودينيا، فمرنه على ركوب الخيل والرمي بالقوس والضرب بالسيف وأقام عليه معلما من خيرة أساتذة عصره[5]، وهو الشيخ "**أق شمس الدين**"[6]، وقد أثرت مجموعة العلماء في تشكيل اتجاهاته الثقافية والفكرية والسياسية والعسكرية[7].

1- يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر عدنان محمود سليمان، مر محمود الأنصاري، ج1، د.ط، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م، ص 131.

2- محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح إسحاق حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م، ص 160.

3- مراد الثاني: سادس سلاطين العثمانيين، ارتقى العرش سنة 1421، حاصر القسطنطينية ولكنه لم يتمكن من الدخول إليها اقتصر على الحملة الصليبية التي نشئها الدول الأوروبية على الدولة العثمانية، انظر: عزتلو يوسف بك أصاف، **تاريخ سلاطين بني عثمان من نشأتهم حتى الآن**، تق محمد زينهم– محمد عزب، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة(1986–1995م)، ص 46–48.

4- سيد رضوان علي، **بطل فتح الإسلامي في أوروبا الشرقية**، ط1، دار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض، 1986م، ص 10–11.

5- عبد السلام عبد العزيز فهمي، **السلطان محمد الفاتح**، ط5، دار القلم، دمشق، 1993م، ص 31–33.

6- الشيخ أق شمس الدين، هو محمد بن حمزة الدمشقي الرومي، ولد عام 792هـ/1385م، دمشق، كان من أتباع الطريقة المولدية، توفي (863هـ/1459م)، للمزيد انظر: شكيري زاده، **الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية**، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975م، ص 132.

7- محمد حرب، **العثمانيون في التاريخ والحضارة**، د.ط، المركز المصري لدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994م، ص 46.

كما كان **محمد الفاتح** ميالا إلى دراسة التاريخ والجغرافيا خاصة قراءة سير أكبر الفاتحين وأبرز الحكام والأباطرة الذين تركوا بصمتهم في العالم. إضافة إلى ذلك فقد تعلم العديد من اللغات إلى جانب لغته الأصلية كالعربية والفارسية واللاتينية واليونانية والسلافية.كل ذلك ساعده في إبراز شخصيته سواء في الإدارة أو في ميادين القتال[1].

كان محمد الثاني مغرما بالفنون فكان يجد فن التصوير والرسم والعزف على الآلات الموسيقية وينظم الشعر إذ طبع ديوان شعره بعنوان **"ديوان الفاتح"** عام 1944 م وقد دأب على مراسلة العلماء والمثقفين منذ أن كان أميرا على منغيسيا وبقي على هذه السنة الحسنة حتى بعد توليه العرش[2].

ويصفه الزائد بندقي وهو في لقائه به بقوله : «**شاب في 26 سنة من العمر، حسن البشرة، عظيم الجثة، وفوق المتوسط في الطول، قوي الذراعين، يشير مظهره الهيبة، قليل الضحكات، موهوب بالأفكار الملكية الحرة، مصمم في أهدافه، جريء في جميع الأمور، يسمع كل يوم تواريخ الرومان...، إنه يتكلم ثلاث لغات،...الخ**» [3]، ومن صفاته كذلك حفظ الأسرار فلا يطلع احد عليها مهما كان شأنه حتى يتمكن من تحقيق ما يصبوا إليه قبل إفشائه[4].

كان لانتقال **"محمد الثاني"** من منغسيا إلى أردنه لتولي مقاليد السلطة في الدولة عقب وفاة أبيه مراد الثاني في 3 فيفري 1451م بداية العصر جديد في الدولة العثمانية[5]. بحيث أبقى جندرلي في منصب الصدر الأعظم على الرغم من سوء علاقتهما منتهجا سياسة التهدئة والوفاق التي اتبعها **"محمد الفاتح"**، فهو أول سلطان يقبل إعطاء منحة الجلوس للإنكشارية مقدما على عزل عدد من قادتهم وأجرى تعديلات في تشكيلات قواتهم[6].

1- إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**، ط2، مكتبة العبيكان، د.ب، 1998م، ص 48.

2- عبد السلام عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص 34-35.

3- لويس برنارد، **استانبول حضارة الخلافة الإسلامية**، تع سيد رضوان علي، ط2، دار السعودية للنشر والتوزيع، رياض، 1998م، ص 48.

4- زياد حمد الصميدعي وجمال الدين فالح الكيلاني، **تاريخ الدولة العثمانية "رجال وحوادث"**، ط1، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب، 2013م، ص 21.

5- سيد محمد السيد محمود، **تاريخ الدولة العثمانية، النشأة الازدهار**، د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص 213.

6- محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط 3، دار النفائس، لبنان، 1434هـ/2013م، ص 101.

2- أهم أعماله:

لقد أراد "**محمد الثاني** "منذ الأيام الأولى لحكمه حسم مشكلة القسطنطينية بالإستلاء على هذه المدينة كون هذه الأخيرة كانت تتخذ وكرا للمؤامرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية ولذلك استعد السلطان سياسيا وعسكريا ومن بين إجراءاته أنه جدد المعاهدات واتفاقيات الهدنة مع جميع جيرانه والأمراء الذين تربطهم بالدولة علاقات معينة مثل البندقية وجنوة والصرب وفرسان القديس في جزيرة رودس، كان هدفه من وراء تجديد هذه الاتفاقيات عزل الدولة البيزنطية سياسيا وعسكريا، أما الإجراءات العسكرية فقد أكمل إقامة المنشآت التي بدأها أجداده على مقربة من القسطنطينية[1].

إن فتح القسطنطينية عاصمة وقلب الدولة البيزنطية كانت هدفا دائما للمسلمين منذ أيام **معاوية بن أبي سفيان**[2]، بحيث حاصرها المسلمون إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة، منها سبعة في القرنيين الأوليين للإسلام فحاصرهما **معاوية** في الخلافة **سيدنا علي** سنة 654 م وحوصرت أيضا في خلافة هشام 739م، وفي المرة السابعة حاصرها أحد قوات الخليفة هارون الرشيد 798م، لكنها باءت بالفشل بفضل موقع المدينة وقوتها[3]، وكان من أشهر شهدائها أبا أيوب الأنصاري[4].

وفي أول شهر أبريل لعام 1453م توجه السلطان **محمد الثاني** إلى القسطنطينية بجيش تعداده مائة وخمسون ألفا، وسير عدة مراكب حربية إلى أمام البوغار[5]. استمر حصار المدينة 54 يوما وبالتحديد من 6 أفريل إلى 29 ماي 1453م وقصفها بأضخم مدافع عرفها العالم حتى ذلك الحين إلى أن حان الفتح يوم 29 ماي 1453م[6]. ثم ترجل عن حصاره وخر ساجدا حامدا الله على تحقيق نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام ومنذ ذلك الحين أصبح يلقب بالفاتح[7].

لقد كان فتح بداية حروب هجومية طويلة شنها السلطان على بلاد الصرب والبوسنة والهرسك والمورة وألبانيا وجمهوريتي جنوة والبندقية ومملكة نابولي، وقد حالفه الحظ في معظم هذه الحروب لكنه أخفق في الإستلاء على بلغراد، وفي غزو جزيرة رودس، كما خاض أيضا حروب في آسيا الصغرى

1- إسماعيل أحمد باغي المرجع السابق، ص 47.

2- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 103.

3- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 164-165.

4- محمد محمود الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط1، المكتب المصري، القاهرة، 2002م، ص 126.

5- عزتلو يوسف بك أصاف، المرجع السابق ص 50.

6- خليل إينالجيك، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، تر محمد. م.الأرناءوط، ط1، المدار الإسلامي، بيروت، ص 41-42.

7- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 139.

حيث قضى عام 1461م على المملكة طرابوزون وهي مملكة يونانية في شمال الأناضول"، كما خاض عام 1473 م حرب ضد إمارة حسن أوزون التركماني أعالي الفرات[1].

وبعد فتوحات عديدة أخذ يعد نفسه لحملة كبيرة التي لم يعرف وجهتها حتى المقربين منه حتى لا تفشل خطته، وتمكن من النزول على شواطئ الجنوبية لإيطاليا وتحديدا بمدينة أوترانتو والتي تم الإستلاء عليها عام 1480م، وفي نفس الوقت أعد حملة أخرى تحت قيادة الدر الأعظم لفتح جزيرة رودس، إلا أن الحملتان لم يكتب لهما النجاح بسبب مرض مفاجئ أصابه وهو على رأس الأسطول في إيطاليا[2].

كانت مهارته في الأعمال المدنية تعادل خبرته في الأعمال الحربية بعد فتحه للقسطنطينية استبدل اسمها باسم استانبول، وهي كلمة تركية معناها دار الإسلام كما حاول كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد أقدم على دعوة المهاجرين منها بالعودة إليها، كما انتهج سياسة التسامح الديني مع العناصر النصرانية[3]

وزار كنيسة آيا صوفيا، وأمر بأن يؤذن فيها للصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين، وأعلن فيها معارضته في إقامة شعائر ديانة المسحيين وحفظ أملاكهم وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين[4].

كما أعاد ترتيب الحكومة على نظامات جديدة[5]، فأطلق على الحكومة اسم الباب العالي[6]، وجعل لها أربعة أركان هم الوزير، العسكر، الدفتردار، النيشانجي، واستطاع مع وزيره محمد باشا وكاتبه وضع الدستور المسمى **"فاتح قانون نامه سي"** أي دستور فاتح والذي بقيت مبادئه الأساسية سارية المفعول في الدولة العثمانية حتى عام 1839م[7].

1-إسماعيل أحمد باغي، المرجع السابق، ص 50.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 128-131.

3- نفسه، ص، ص، 110-111.

4- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 165.

5- نفسه، ص 165.

6- الباب العالي: هو مقر الحكم في الدولة العثمانية، أول من أنشأ السلطان محمد الفاتح، وأصبح فيما بعد يطلق على مقر الصدر الأعظم، كانت له أهمية كبيرة خاصة خلال القرن19 م، انظر: سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مر عبد العزيز محمد حسن بركان، د.ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000م، ص49.

7- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص180.

وأنشأ العديد من المؤسسات الثقافية والاجتماعية المختلفة فاستحدث مدارس "صحف ثمان" الشهيرة ومدارس **"تتمه"** [1]، إضافة إلى ذلك قام السلطان بإنشاء الخانات والمستشفيات والحمامات والأسواق والحدائق العامة والقصور الضخمة، وأدخل المياه إلى المدينة بواسطة قناطير ضخمة وخاصة، كما تشجع على تشيد المباني وإنشاء الدكاكين، ومن أشهر آثاره العمرانية مسجد السلطان محمد ومسجد أبا أيوب الأنصاري وقلعة الأبراج السبعة التي أصبحت فيما بعد بمثابة سجن للسلاطين الذين يتم خلعهم عن العرش ليوقظوا فيها بقية حياتهم[2].

3- وفاته:

بينما كان السلطان "**محمد الفاتح**" في معسكره بإيطاليا يعد الخطط للتوغل في الداخل فاجأته الموت دون إكمال ما كان يصبوا إليه و كان ذلك في 4 ربيع الأول 886هـ الموافق لـ 03 ماي 1481م، ودفن بالضريح الذي شيده في جامعه بالقسطنطينية[3].

يعد "**محمد الفاتح**" مؤسس الدولة العثمانية في عصر الإمبراطورية فقد استمرت غزواته شرقا وغربا وشمالا دون توقف على مدى ثلاثين عاما فصار عالما للبحرين والأرضين ووضع مؤسسات الدولة في شكلها النهائي بعدما تولى السلطة وهو في عصر العشرين حاز على لقب الفاتح، خرج خلالها بنفسه على رأس خمسة وعشرين حملة عسكرية وألحق بالأراضي العثمانية ثمانية عشر إقليما جديدا[4].

كان لوفاته أثر كبير في نفوس المسلمين في جميع أقطار الأرض، فقد أبهرتهم انتصاراته وأعادت إليهم سيرة المجاهدين الأوائل من السلف الصالح فقد الإسلام سيفا من سيوفه المسلولة، أما أوروبا النصرانية فقد أقامت مظاهر الفرح والابتهاج بوفاته، وخاصة بابا روما، وأمر بفتح جميع الكنائس وأقيمت فيها الصلوات والاحتفالات وظلت طيلة ثلاثة أيام، وتخلصت أوروبا بوفاته من أعظم خطر كان يهددها[5].

1-سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص 214.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 134.

3- أحمد أق كوندوز وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، د.ط، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008م، ص 122.

4- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 176-177

5- عبد السلام عبد العزيز فهمي، المرجع السابق، ص 168-169

وقد أقام هذا السلطان العظيم بإنجازاته دولة إسلامية ترهب كل من يحاول الاقتراب منها، كما أخلف بعده ولدين يسمى أكبرهما "**بايزيد**" والآخر "**جم**"، وكان "**محمد الثاني**" شخصية فذة إذ ترك أثره الكبير في العالم الإسلامي والعالم المسيحي بشكل جلي وواضح[1].

ثانيا : تعامله مع أهل الذمة:

كان العثمانيون حريصين على الإلتزام بقواعد الإسلام وبخاصة السلطان "**محمد الفاتح**"، ولذلك كان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرصوا على تطبيقها وكانت معاملتهم لأهل الذمة خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم ولم يخطر ببالهم اضطهاد غيرهم بسبب اختلاف الأديان، متبعين قوله عز وجل ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين** ﴾ [2]..

إذ طبق التسامح الديني مع أهل الذمة داخل مجتمع الدولة الإسلامية فحفظ أعراضهم وأموالهم وأملاكهم وأديانهم وأماكن عبادتهم ومقدساتهم وبذل المسلمون أرواحهم مرارا في سبيل الدفاع عنهم والحيلولة دون الإساءة إليهم على اختلاف أديانهم ومذاهبهم[3].

ومصطلح أهل الذمة في الفقه الإسلامي هو العهد الذي يعطي للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم، إذ لا يسترقون كما يؤمنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم وعباداتهم[4]، أما المعنى العام فيشير إلى العهد والأمان والضمان حرمة وحق وأهل الذمة، فمصطلح أهل الذمة أطلق على المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام[5].

وحينما أقام السلطان "**محمد الفاتح** "مدينة اسطنبول لم يجد ضيرا في محالفة المسلمين مع أهل الذمة مُظهرا قدرا كبيرا من التسامح معهم ليتمكن أهل الكتاب من التعايش مع المسلمين دون إثارة أي مشاكل داخلية تهدد أمن الدولة العثمانية واستقرارها.

فبعد فتح العظيم توجه **محمد الفاتح** إلى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها جمع غفير من الناس ومعهم القسيس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف النصارى

1- يوسف بك أصاف، المرجع السابق، ص56.

– سورة الممتحنة، الآية 2.08

3-موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 174.

4-سعدي أبو جيب، **القاموس الفقهي** مادة (ذمة)، ص 138.

5- ابي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور ، **لسان العرب**، ج1، ط1، دار المصادر، بيروت، ، ص157.للمزيد انظر فيروز أبادي، قاموس المحيط، ج1، ص115، والسرخسي الحنفي، شرح السيد الكبير، ج1، ص168

داخلهم خوفا عظيما وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له، فطلب من الراهب تهدئة الناس، وطمأنهم، والعودة إلى بيوتهم بأمان، فاطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم[1].

واعتبروا العثمانيون منقذين لهم مما كانوا يلاقونه من الاضطهاد البيزنطي الذي كان واقعا عليهم فالعثمانيون لم يكرهوا أحدا من تلك الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام، بل تركوا لهم الحرية الدينية[2].

وتستطيع أن نستنتج من ذلك أن السلطان "**محمد الفاتح**" لم يعارض أهل المدينة المفتوحة في إقامة شعائرهم الدينية والمذهبية وأن يضمن لهم حرية التصرف في أملاكهم[3]، وأعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين وأعطى لهم نصف الكنائس أما النصف الأخر فلقد جعله جوامع للمسلمين[4].

كما عمل على تنظيم أهل الذمة ضمن نظام طائفي مذهبي بحيث كانت طائفة من طوائف المحليين خاضعة للباب العالي، لها ديانة محددة، ولا تنتمي إلى أصل عرقي واحد، وتكون وحدة سياسية واجتماعية مستقلة، وفي نظام الملل نمت السلطة البطاركة والحاخامات الدينية والمدنية[5].

وكان لكل ملة رئيسا ديني ينظر في مسائل الدينية يسمى "ملة باشا"، و يقوم مستعينا ببعض مساعدين بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بإتباع ملته دون تدخل من جانب الدولة التي تركت لرئيس كل ملة ممارسة هذا الاختصاص، وقد منح نظام الملل للرعايا غير المسلمين كيانا ذاتيا خاصا[6].

1- محمد علي الصلابي، **فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح**، د.ط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001م، ص 137.

2- فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيسير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف علي رابع الثقفي، قسم الدراسات العليا التاريخية، والحضارية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1989م، مرقونة، ص 60.

3- فهد بن عايش بن محمد الطيار، **فتح مدينة القسطنطينية (875هـ/1453م)**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، تبوك، 2002 م، ص 102.

4- قيس جواد العزاوي، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، ط2، الدار العربية للعلوم، مركز دراسات الإسلام والعالم، ط1، 1994م، ص 82.

5- بان غانم أحمد الصائغ، المرجع السابق، ص 14.

6- موسى نصر، المرجع السابق، ص13.

ونظام الملة هو استمرار تاريخي وقانوني لمصطلح أهل الذمة إلا أن الأخير تعبير عن الخبرة العربية بينما الملة تعبير عن الخبرة العثمانية [1]، بحيث بُني هذا النظام على أساس إسلامية مستنبطة من المذهب الحنفي[2].

وفي الحقيقة أن السلطان "**محمد الفاتح**" هو الذي جعل من مؤسسة الملة جزء من بينة الدولة ووضع لها القواعد والأسس التي لم يسبق لها فشل في الدولة الإسلامية[3]، واجتمع مع الأساقفة وهدأ من روعهم وأمر بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا أغناديوس بطريكا، وتوجه هذا الأخير بعد انتخابه في موكب الحافل من الأساقفة إلى مقر السلطان واستقبله السلطان" **محمد فاتح** "بحفاوة بالغة وأكرمه وتناول الطعام وتحدث معه في موضوعات شتى[4].

كما دعم نفوذه" بسلطات تشريعية واسعة وخاصة في مجال أحوال الشخصية الذي طبقته على جميع رعايا المسحيين وفي واقع فرجال الدين المسيحيين أصبحوا الصورة المقابلة للعلماء الدين المسلمين[5]، بهذا تغيرت تماما وجه النظر المسحيين لسلاطين العثمانيين[6].

وقسمت الطوائف وقفا للتنظيمات العثمانية إلى سبعة طوائف أو جاليات دينية، وهي الأرثوذكس الأرمن، الإغريقيون، الرومان، الكاثوليك، البروتستانت، اليهود، فخضعت كل مجموعة لإشراف وتوجيهات رؤسائها الدينيين حيث كانت غالبيتهم الساحقة ضمن الأرثوذكس وكان رئيسهم الديني والمدني مقره القسطنطينية [7].

كما تمتعت الطوائف المسيحية بالاعتراف بها رسميا، فأقرت السلطنة العثمانية للبطاركة والأرثوذكس والأرمن والحاخام بأنهم ليسوا رؤساء طوائفهم الروحيين فحسب، بل رؤسائهم السياسيين أيضا[8].

كما كانت معظم الطوائف الذمة إلى انضوت تحت الحكم العثماني طوائف مسيحية تتبع كنائس أربع وتدين بالمعتقد الأرثوذكسي كالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية اليونانية في استانبول، وكنيسة

1- بان غانم محمد الصائغ، المرجع السابق، ص14.

2- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص81.

3- بان غانم محمد الصائغ، المرجع السابق، ص15

4- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 37.

5- بول كولز، العثمانيون في أوروبا، تر، عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص37.

6- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص148.

7- فائقة حمزة عبد الصمد، المرجع السابق، ص 139.

8- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 82.

الإسكندرية، والكنيسة المارونية في سوريا ولبنان و كنيسة أورشليم، وكان لكل كنيسة بطريك خاص بها يتم تعينه من طرف السلطان[1].و الواقع أنه كان بطريرك الروم في القسطنطينية يملك من القوة والسلطان في ظل العثمانيين أكثر مما كان في عهد الدولة البيزنطية نفسها، وكانت مراسيم الزواج والدفن تقام علانية وفي فخامة وأبهة في معظم الأحيان[2].

إن الدولة العثمانية أعطت للرعايا النصارى قدر واسع من الحرية الدينية وسمح لهم بالتحاكم بشريعتهم، وانتعشت أحوالهم في ظل الحكم الجديد والتحق العديد منهم بالجيش والبلاط[3]، بحيث أن الملة الأرثوذكسية هي الملة الوحيدة التي جند أفرادها بنظام الدفشرمة وتمكنوا من تولي مناصب عليا في الإمبراطورية بفضل هذا النظام[4].و كانت تلك الأوضاع أهل الذمة من المسيحيين في إطار نظام الملل العثماني بحيث أن معظم أحوالهم خاصة الاجتماعية والاقتصادية لا تشكوا من سوء وتمكنوا من الاندماج في الحياة العامة[5].

إذ تقلد أبناء الأقليات مناصب عليا في الدولة كالوزراء والمستشارين، ونبغ فيهم الأطباء والعلماء والفلكيون والشعراء والأدباء[6]، وفي إحصائية للصدور العظام للفترة (1453- 1623م) فقد بلغ 48 صدرا أعظما خمسة منهم أتراك والباقون موزعون على النحول الآتي: شركسي من القوقاز وآخرين من أصول غير معروفة وحدتي الدخول في الإسلام، وهذا يعني أن المؤسسات العثمانية كانت مفتوحة لكل مواطني الدولة بغض النظر على المعايير العرقية أو القومية[7].

وإذا ما تحدثنا عن مناطق تواجد النصارى فإن أغلبيتهم كانوا يقطنون بشكل رئيسي في البلقان وأرمينيا وبلاد الشام فضلا عن تواجدهم في الولايات العثمانية الأخرى بشكل أقل وكان يعيش في

1- موسى موسى نصر، المرجع السابق، ص 14-15.

2-كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر, نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ، 1988م، ص 117.

3- فائقة محمد حمزة، المرجع السابق، ص65.

4- هاميلتون غب وهارولد باون، **المجتمع الإسلامي والغرب، دراسة حول تأثير الحضارة المغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر ميلادي**، تر أحمد ايبش، مج1، ط1، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي 2012 م، ص317.

5- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص85.

6- هدى درويش، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين**، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 2000م، ص 158.

7-كمال سعيد حبيب، المرجع السابق، ص 314.

استانبول حوالي 5162 أسرة نصرانية[1].

ومما يجب التطرق إليه أنه لم يكن لدى العثمانيين معيار الانتماء والعصبية، مما عزز من وجود معايير الكفاءة والعمل، وجعل لهم أكثر حركية في قبول الأخر، ويمكن تفسير التسامح الذي اتبعته الدولة اتجاه الشعوب الأخرى إلى الأرضية الصلبة ذات الأسس المبنية على الخلفية الإسلامية.

ثالثا: تعامله مع اليهود:

لم تكن ملة اليهودية اقل قيمة عن الملة الأرثوذكسية إذ تمتعت بنفس الحقوق والواجبات تحت ظل السلطة العثمانية، إذ مسها قدر واسع من تسامح سلاطين بني عثمان على مر تاريخهم حتى عهد السلطان محمد الفاتح. نجحت الدولة العثمانية إلى حد كبير في دمج مساحات شاسعة من الأراضي المفتوحة في الدولة، حيث كانت سياسة التسامح و الاستمالة التي اتبعتها مع غير المسلمين من رعايا وعدم تعرضها لهم ولا على تشكيلاتهم الدينية ذات نتائج عظيمة على استقطاب عدد كبير من أهل الكتاب خاصة اليهود[2].

كما أنه من بين ما قام به الفاتح بعد فتح القسطنطينية أن أعاد تعميرها بعدما كانت المهملة والمخربة وتجسد ذلك من خلال إنشاء أحياء من عناصر مختلفة من ضمنها العنصر اليهودي[3].وبلغ من اطمئنان المسلمين إليهم أن سمحوا بهجرتهم واستقبالهم كما حصل حينما تعرضوا للاضطهاد من طرف الكاثوليك الإسبانية[4].

إن المجتمع الذي قامت على أسسه الدولة العثمانية كان مجتمعا متعددا ومن غير الجائز أن يقوم المجتمع بدون الاعتراف بالتعددية بما لا يتعارض وأهداف الأمة إذ تمكنت الدولة من تحويل هذه المكونات إلى عناصر فاعلة[5].

فتمكن المسلمون من التعايش مع غير المسلمين في المدن العثمانية إذ تعلم غير الأتراك اللغة التركية فضلا عن أن المصاهرة بين القوميات والأديان الأخرى كان أمرا عاديا[6]، وقد قام اليهود بتعليم الأتراك جميع الفنون المفيدة ولأن القسم الأعظم من الفنون والحرف التجارية كانت بأيديهم ساهموا

1- هدى درويش، المرجع السابق، ص318.

2- سيد محمد السيد، المرجع السابق ص 356.

3- كارل بروكلمان المرجع السابق، ص 430.

4- موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 176.

5- كمال حبيب، المرجع السابق، ص 225-227

6- محمد فؤاد كوبرلي، المرجع السابق، ص 101.

بشكل كبير في الازدهار كما أن اليهود عاشوا في عهد محمد الفاتح دون أن تحدث منهم أية اضطرابات أو قلاقل إلا نادر[1].كما كانوا يشكلون ملة كغيرهم من الملل الأخرين وعين السلطان "**محمد الفاتح**" الحاخام باشي الذي منح سلطات مشابهة لتلك التي منحت للبطريرك[2].

فإجمال ما منحه السلطان "**محمد الفاتح**" لليهود كان دليلا قاطعا على سماحة أبناء الدين الإسلامي وعهد اليهود للعمل على الحفاظ على امتيازاتهم داخل هذه السلطنة ليتمكنوا من العيش بعيد عن الاضطهاد الديني الذي كان قد لحق بهم. فهذه هي طبيعة النظام العثماني مع رعياه من غير المسلمين على اختلاف الأديان السماوية الثلاث بحيث اوجد نظامها السياسي تعايشا سلميا يسوده الانسجام.

والدولة العثمانية تعاملت مع رعاياها من الملل الأخرى بنفس الطريقة إذ درجت الدولة العثمانية وفي جميع الفرمانات نصوص توجب طاعة كل ملة لرئيسها الروحي في المسائل الدينية دون غيرها[3]، وكانت كل ملة لديها مؤسسة خاصة بها وسيطة بينها وبين الدولة، إذ يقوم رئيس كل ملة باستقبال الفرمانات والأوامر السلطانية ويبلغ بها جماعته ويتابع تنفيذها، وفي المقابل فإن أتباع الملة يبلغون رؤوسهم الدينين بمطالبهم وفق موافقة سلطانية[4].

ولابد من الإشارة إلى أن كل ملة ترغب في الإقامة حي و حيز خاص بها لأنها متخصصة بنشاط اقتصادي يميزها عن غيرها مما جعل هناك التداخل بين الأحياء والنشاط الاقتصادي والملة الدينية والتي ترسخت في المدن العثمانية، فكانت الأحياء تمثل وحدة إدارية مستقلة على المستوى الديني والطائفي[5].

كما أن الدولة العثمانية فتحت أبوابها الآلاف الأسر المتعددة القوميات والعرقيات والثقافات، وتشير الإحصاءات أن في عام 1478 م كان يعيش في استانبول 9517 أسرة و5162 أسرة نصرانية، و1647 أسرة يهودية[6].

1- هاملتون غب، المرجع السابق، ص 310.

2- هاميلتون غب، المرجع السابق، ص 308.

3- موسى موسى نصر، المرجع السابق، ص 15.

4-كمال السعيد حبيب، المرجع السابق، ص 322.

5- نفسه، ص354.

6- هدى درويش، المرجع السابق، ص 183.

فروح السماحة العظمى للإسلام جعلت من نظام الملل مثالا فريدا لنظام تعددي الذي قسم سكان السلطنة إلى المسلمين يدفعون الزكاة ورعايا غير المسلمين يقومون الخضوع للسلطان ويدفعون الجزية[1]، والخراج[2]، كما تعاملت الدولة العثمانية معهم بمرونة وأبقت النظام الاجتماعي الخاص بهم شريطه أن يلتزموا بالسياسة الداخلية للسلطان[3].

لطالما حرص العثمانيون على تحقيق العدل بين مختلف الطوائف الدينية متبعين تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة، ليتمكنوا من الحفاظ على الإمبراطورية التي دامت فترة طويلة من الزمن، وما كان هذا لتحقيق لولا تسامحهم وعدالتهم الدينية.

1- الجزية وجبت على أهل الكتاب كما وجبت الزكاة على المسلمين والجزية جزء من الفيء الذي يجيء في أوقات معينة من السنة والجزئية تؤدي على قدر الطاعة الشخص للمزيد: انظر موقف بني المرجة، المرجع السابق، ص 175.

2- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 85.

3- محمد فؤاد كوبرلي، المرجع السابق، ص 10

المبحث الثاني

سياسة التسامح الديني في عهد السلطان بايزيد الثاني والسلطان سليم الاول

أولا: نبذة تاريخية عن السلطان بايزيد الثاني وابنه السلطان سليم الأول.

ثانيا: التسامح في عهد السلطان بايزيد الثاني.

ثالثا: التسامح في عهد السلطان سليم الأول.

أولا – نبذة تاريخية عن السلطان بايزيد الثاني وابنه السلطان سليم الأول :

1- نبذة تاريخية عن السلطان بايزيد الثاني 1512/1481م:

السلطان **بايزيد الثاني** أحد السلاطين العظماء الذين حكموا الدولة العثمانية، هو ثامن سلاطين أل عثمان كانت فترة حكمه من أزهى مراحل الحكم العثماني.

أ– مولده ونشأته:

ولد السلطان **بايزيد الثاني** عام 856هـ الموافق ل1452 م، وتولى الحكم بعد السلطان **محمد الفاتح** وكان عمره آنذاك ثلاثون سنة [1]، غير انه لم يتولى الحكم بسهولة وطيب خاطر فلقد كان له منافس على السلطة أخوه الأمير جم، إذ لما توفى محمد الفاتح ترك اثنين من أولاده **بايزيد** و**جم** الأكبر بايزيد أما الأصغر **جم**، وكان لكل منهما ولاية يقومان بإدارة شؤونها فالأمير بايزيد كان واليا على الروم وكان مركزها آنذاك أماسيا أما الأمير جم فلقد كان يدير شؤون ولاية قرمان التي مركزها قونية [2].

من هنا تولد لديهما حب السلطة والطموح لتولي منصب السلطان كما بدأت تتشكل الملامح الأولى لصراع والمنافسة، وبوفاة **محمد الفاتح** اكتملت هاته الملامح ونضجت، ، ما زاد في احتدام هذا الصراع أراء كبار المسؤولين في الدولة وضباط الانكشارية حول أحقية من يتولى السلطة، فالصدر الأعظم"**قرماني محمد باشا**" أراد "**الأمير جم** "أما الجيش الانكشاري فقلد أراد **الأمير بايزيد**، فعلا تم ذلك بعدما تناقل إلى مسامع الانكشارية خبر أن هذا الوزير قام بإرسال خبر وفاة **محمد الفاتح** للأمير"**جم** "ليتولي هو السلطة دون أخيه فقاموا بقتله وإعلان الأمير "**بايزيد** سلطانا [3].

ولم يهدأ بال" **الأمير جم**" وطالب بأحقيته بالسلطة والتقى الأخوان في معارك وانتصر فيها السلطان **بايزيد الثاني** على أخيه الذي استعان بأعداء الدولة العثمانية لانتصار على بايزيد غير انه في نهاية المطاف انتهي الصراع بتولي الأمير" **بايزيد** "سلطانا [4].

ب– صفاته:

1- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح محمد محفوظ، م2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م ص32.

2- سيد السيد محمود، المرجع السابق، ص216.

3- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص179.

4- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص195.

سلطان **بايزيد الثاني** سلطان مسالم لم تكن ميوله خوض غمار الحروب القرن الخامس عشر[1]، كما أحب السلطان العلوم الأدبية والأشعار إذ جعلها ضمن اشتغاله، واهتم أيضا بعلم الفلك كما كان خطاطا يجيد فن التذهيب وقد اشتهر بحبه للتصوف والزهد وسمي **بايزيد** الصوفي [2]، فاستحق أن يكون ولي من أولياء الله أكثر من أن يكون سلطان فاتح وغازي [3].

ولعل سبب قلة فتوحاته مواجهته لأخيه "**جم**" من جهة، والاضطراب الذي عرفه العالم بعد سقوط غرناطة 1492م من جهة مقابلة. وتجدر الإشارة هنا أن بعض مؤرخين أرجع عدم خوض السلطان لمعارك كثيرة للترف و اللهو الذي كان منغمسا فيه، مستغلين هاته حجة لنقده من جهة ومقارنته بوالده **محمد الثاني** الذي قام بفتح قسطنطينية – التي كانت تحتل المرتبة ثانية دينيا بعد الفاتيكان في تلك الفترة — من جهة أخرى، غير أن لكل زمان ظروفه وأعذاره فالظروف التي تواجد فيها **محمد الفاتح** مختلفة تماما عن الظروف تواجد بها السلطان **بايزيد الثاني** إذ أن قيامه باستنصار مسلمي الأندلس الذين لقوا الجور والعدوان ومد لهم يد العون كانت خير شفاعة له وليس هذا فحسب بل حتى اليهود لقوا منه الاستحسان والنصرة.ولو أن مسلمي غرناطة قاموا بحرب ضد الاسبان وطلبوا يد العون لاسترجاعها لما قصر" **بايزيد** "و لربما كنا يوم نتكلم عن محاولة لاحتلال غرناطة لا عن سقوطها.

ج- حملاته:

قام السلطان **بايزيد** بعدة حملات وفتوحات، إذ وسع من مساحة الدولة العثمانية بمقدار 160.000كلم[4]، ومن جملة الحملات و الفتوحات التي قام بها فتحه لعديد من القلاع كقلعة ملوان و قلعة أق كرمان وقلعة المتون [5] ، كما قام بحملة ألحق فيها الهرسك بدولة العثمانية وحملة على يوغدان غير أنها لم تفتح بسبب الوباء الذي تفشى بين جنده كما خاض أيضا حملة على المجر واليونان[6] .

د-أعماله وانجازاته:

1- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص142.

2- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص180.

3- أورخان محمد علي، **روائع من تاريخ العثماني**، ط3، دار الكلمة، مصر 2007م، ص53.

4- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص195.

5- محمود مقديش، المصدر السابق، ص32.

6- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص 52-53

لكل سلطان مآثره وانجازاته ومآثر السلطان **بايزيد** بناءه للعديد من الجوامع والمساجد والمدارس والعمارات ودار الضيافات والثكايا ودار الشفاء للمرض والحمامات والحانات والجسور[1]، إلا أن أعظم انجاز قام به السلطان بناؤه لذلك المسجد الذي يحمل اسمه 1503/1492م الذي يمتاز بفخامة مواد بنائه وزخرفته على الطريقة الفارسية وبمآذنه التي تقوم على أجنحة مستقلة وليس الزوايا كباقي المآذن [2].

هـ-وفاته وصراع على السلطة :

إن كبر سن" **بايزيد**" أدت إلى هرمه ومرضه وعدم قدرته على السلطة، مما أدى بالسلطان **بايزيد الثاني** إلى اختيار خليفة له قبل وفاته، فاختار ابنه "**احمد** "دون "**سليم** "في حين أراد الجيش الانكشاري الأمير سليم[3]، وثار الجيش على **الأمير احمد** ووزراء الدولة الكبار وقتلوا اغلبهم فتأثر السلطان من ذلك، وفي يوم السبت 7صفر 918هـ الموافق 1912م جاء سليم بموكب عظيم إلى السرايا ثم قام **بايزيد** بتوليته وغادر استانبول وتوفي في الطريق[4].

2- نبذة تاريخية عن السلطان سليم الأول :

أ- المولد والنشأة:

ولد في أماسيا سنة 885هـ الموافق 1470م، ولا نعرف شيئا عن حداثته[5]، جلس على كرسي السلطة سنة وفاة والده 1512م وعمره آنذاك 46سنة [6]، يظهر الأمير "**سليم الأول** "حينما يختار أبوه **بايزيد** أخاه الأكبر" **أحمد**" بالرغم من الرغبة الجامحة **لسليم** من اجل تولي الحكم [7]، وهنا تتكرر لنا حادثة الصراع الأخوي السلطوي في عهد السلطان **بايزيد**، بالرغم من اختلاف الزمان غير أن شخصيات الفعالة والمؤثرة بقيت على حالها واختلفت هذه المرة تماما عن سابقتها فتدخل الجيش

1- محمود مقديش، المصدر السابق، ص32.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص143.

3- محمود مقديش، المصدر السابق، ص34.

4- إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية "التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية** "، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1998م، ص76-77.

5- علي بن محمد اللخمي الاشبيلي، **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح، ارنست هانس، دار الحياء، 1962م، من مقدمة

6- محمود مقديش، المصدر السابق، ص34.

7- علي بن محمد اللخمي، المصدر السابق، من المقدمة

الانكشاري كان في وجه **بايزيد** لا معه واختير **سليم**، وفي28 محرم 918هـ الموافق ل1512م اعتلى الأمير **سليم** العرش.

ب- ألقابه وصفاته :

لقب السلطان "**سليم الأول**" بياوز أي الشديد لقسوة طبعه[1]، كما أطلق عليه لقب شاه وهو لا يزال أمير[2]، كان سلطانا قاهرا قوي البطش، كاسرا أكاسر العجم، وفاتحا لأقاليم مصر والشام[3] وخادما للحرمين الشرفيين، وناظما مناظم المقامين المعظمين فهو سلطان العرب والعجم والروم [4]، وكان يطلع على أحوال رعيته وأسرار مملكته بنفسه، إذ كان يغير لباسه بالليل والنهار ويجوب المدينة لمعرفة ما يدور من الأخبار[5]، هو قائد حربي ممتاز يقف بشخصه علي قواته العسكرية و يدير شؤونه ببراعة كبيرة[6].

ومن أفضل الذين برعوا في وصفه وأبدعوا علي **بن محمد اللخمي الاشبيلي** صاحب **مخطوط الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان** فيقول:**«هو ملك الزمان على الإطلاق، المرتقي كرسي الخلافة باستحقاق مؤسس مباني العلم والإيمان، هادم الجور والعدوان، برهان الحق، لسان الصدق...»**وتتخلل هاته الأوصاف بعض الأشعار لعل أجودها هذا البيت :

لكل زمان واحد يقتدى به وهذا الزمان أنت لاشك واحد [7]

بعد كل هذا المدح والصفات لابد للوقوف على مآخذ "**السلطان سليم الأول** "و التي تجلت في قيام السلطان "**سليم الأول**" بقتل جميع إخوته الأبرياء منهم والأعداء و كان ذلك مستهل توليته، لذا استغل الكتاب الغربيين هاته الحادثة لإدلاء بدلوهم وإفراغ حقدهم وزرع سمومهم.

بالرغم من هذا التطاول على سلاطين بني عثمان وانتظار أهون الأشياء ليزرعوا سمومهم وجعل من هاته الأخطاء أعذارا لهم للتدخل في شؤون خاصة بالدولة إلا انه لا احد منا يشكك في استقامة

1- محمد طقوش المرجع السابق، ص147.

2- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص212.

3- محمود مقديش، المصدر السابق، ص34.

4- مصطفى بركات، **الألقاب وظائف عثمانية "دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية1517/1924م** "، د.ط، دار الغريب، القاهرة، 2000م، ص18.

5- محمود مقديش المصدر السابق، ص34.

6- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص203.

7- علي بن محمد الخمي الاشبيلي، المصدر السابق، ص2.

عقيدة سليم الأول وكما انه لا أحدا منا يعرف ويقدر الأشياء مثل السلطان **سليم الأول** في تلك الفترة، فقيامه بقتل أخوته تزامن مع فترة اجتياح الخطر الشيعي الصفوي وكلنا نعلم أن الدولة الصفوية كانت تستغل أي فرصة لانقضاض على الدولة ولو أبقى السلطان على إخوته لحدث صراع مع بقية إخوته مثلما كان يحدث قبل تولي كل سلطان، بهذا تبقى الدولة دون سلطان ذو رأي سديد ومحنك فتبسط الدولة الشيعية يدها على الدولة العثمانية فتصبح الدولة العثمانية شيعية أبا عن جد ولكان العالم عربي هو الأخر شيعي.

ج- حملات واهم انجازات السلطان سليم الأول :

لقد قام السلطان السلطان "**سليم الأول**" بحملات كثيرة و بأعمال جبارة خلال مدة حكم لم تتجاوز ثماني سنوات وخمسه أشهر [1] إذ كان يطمح إلى إعادة سياسة جده "**محمد الفاتح**" الرافعة للواء الجهاد وتخلي على سياسة والده مسالمة واضعا نصب عينيه جعل الدولة العثمانية إمبراطورية عالمية [2].

ومن أبرز الحملات التي قام بها حملته على إيران و انتصاره فيها كما غزا بعض الإمارات التركية و ضمها للدولة العثمانية، كما انه واستولى على عدد كبير من القلاع والحصون، وتمت أيضا خلال فترة حكمه ضم اغلب مناطق العالم العربي إذ انه انتصر على المماليك في كل من مصر والشام في معركة مرج دابق و ريدانية خلال هذا انتصار الحق كل من فلسطين والحجاز بالدولة العثمانية، وفتح أيضا شرقي الأناضول وشمالي العراق[3].

د- زوجاته و أولاده :

كانت "**للسلطان سليم**" زوجات عديدة منها "**عائشة**" خاتون وكذلك "**حفصة**" خاتون، أما أولاده من الذكور فنذكر"**سليمان القانوني**"، الأمير"**أورخان**، "الأمير"**موسى**"، الأمير"**قورقوت**"ومن البنات "**فاطمة** "خان و"**خديجة**" و "**دولت** "خان [4].

1- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص176.

2- محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص203.

3- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص57.

4- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص212.

ثانيا :التسامح الديني في عهد السلطان بايزيد الثاني:

1- تسامح السلطان بايزيد مع يهود المطرودين من الأندلس:

لقد أكمل السلطان "**بايزيد الثاني**" ما قام به السلطان "**محمد الفاتح**"من سياسة التسامح الديني مع أهل الذمة من اليهود والنصارى على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، وتظهر لنا سياسة السلطان "**بايزيد الثاني**" خلال القرن التاسع هـ والخامس عشر م، بعد سقوط أخر معاقل المسلمين في الأندلس غرناطة 896 هـ /1492م.

إذ كانت هناك حربا معلنة على الأمم غير مسيحية أي "المسلمة واليهودية " وشنت عملية طرد على هؤلاء من وطنهم الأصلي في اسبانيا وكان نظام العبودية والظلم والطغيان وسيلة في التعامل مع هؤلاء فضلا عن استخدام الأوربيين لمحاكم التفتيش وأحكامها الظالمة والجائرة في حق هؤلاء الأبرياء [1]، وهذا الظلم والجور انتشر في أوربا بصفة عامة و في اسبانيا بصفة اخص فما كان على سلطان "**بايزيد الثاني**" إلى أن يغيث ما استطاع إغاثته من هؤلاء المظلمين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، خاصة و إن عملية الطرد شملت أيضا فئة اليهود [2].

وللإشارة كان اليهود يعيشون في كنف الدولة الإسلامية في الأندلس وأطلق عليهم اسم الذمي لأنهم يعقدون صلحا مع المسلمين ويقبلون حماية الدولة الإسلامية لهم، وكانوا يعاملون حسب الشريعة الإسلامية، و يعيشون في حرية وأمان وسلام كغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في ظل الحضارة الإسلامية في الأندلس، ولكن ما إن سقطت الدولة الإسلامية في الأندلس حتى أصابهم ما أصاب المسلمين فالأسبان لم يرحموهم وقاموا بطردهم من وطنهم فلم يجدوا البلاد الآمنة التي تحويهم وتلم شتاتهم، فالجميع أدار لهم ظهورهم لما يملكون سمعة رديئة بين الأمم[3].

فكانت السلطنة العثمانية الملجأ الوحيد لهم من الطغيان والاضطهاد[4]، إذ قامت بفتح أحضانها لهم وعاشوا بسلام في كنف الدولة الإسلامية[5].وهكذا كان الدين الإسلامي أرحم بكثير من الدين المسيحي وليشهد العالم سماحة الدين الإسلامي ورقة تعامله مع الضعفاء سواء كانوا في أرضه أو

1 - سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 205.

2 - هاميلتون غب، المرجع السابق، ج2، ص312.

3 - سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص205-206.

4 - قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص83.

5 - سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص206.

في أي بقعة من العالم فلا ننسى أن هؤلاء اليهود لم يكونوا تحت الوصاية العثمانية ومع هذا عُملوا كذلك.

أ- توطين اليهود و إسكانهم :

بعد عملية الطرد التي أصابت اليهود والمسلمين من ديارهم في الأندلس قاموا بعث رسائل لسلطان "**بايزيد الثاني**" من اجل نجدتهم من الويلات التي لقوها على أيدي الاسبان فأرسل إليهم كمال ريس قائد القوات البحرية في تلك الفترة الذي بدوره قام بنقلهم إلى مناطق أمنه لاسيما أراضي الدولة العثمانية [1].

وللإشارة أن "**سلطان بايزيد**" تحمس لهؤلاء اليهود وشجع وجودهم وعبر عن هذا من خلال سخريته من عملية الطرد التي قام بها الاسبان ضد اليهود و وصفها بأنها إضعاف لدولة اسبانيا إذ يقول" **إنني مندهش من الذين يقولون أن فرديناند ملك اسبانيا ذكي فهو يضعف دولته ويقوي دولتي**" [2].

كما أن السلطان قام بتوطين اليهود فجعل لهم أراضي مخصصة لهم دون غيرهم فخصص لجزء منهم مدينه السلانيك[3]، وجعل جزءا أخر منهم في ساقيز[4]، وكذلك أزمير واسطنبول[5]، وقام أيضا بإسكانهم في أدرنة وليودية والواقعة في اغريبوز وترحالة وذلك بشرط قبول أحكام أهل الذمة والخضوع لها [6] ووصلت به الرأفة إصدار قانون يأمر بحسن معاملتهم في الأراضي العثمانية [7].

وهؤلاء اليهود لم يستقروا فقط في الدولة العثمانية فمنهم من اتجه إلى المشرق العربي استقروا في كل من سوريا ومصر، وذلك في المدن التالية القدس وصفد من الجليل والقاهرة والإسكندرية ودمشق و غير ذلك من المشرق العربي فاعشوا هناك مع اليهود المحللين وسيطروا على مناطق التي يتواجد فيها أبناء جنسهم ودينهم وأطلق على يهود المهاجرين من أوربا بصفة عامة واسبانيا بصفة خاصة تسمية

1- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص206.

2- هدى درويش، المرجع السابق، ص163.

3- موجودة حاليا باليونان حسب سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص206.

4- هدى درويش، المرجع السابق، ص163.

5- أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، م2، د.ط، استانبول، 1999م، ص166.

6- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 206.

7- هاميلتون غب، المرجع السابق، ج2، ص 312.

السفاريدم[1]لكي يميز بينهم وبين يهود المحليين هناك، كانوا يتكلمون فيما بينهم لغة اللادينو ثم أصبحت العربية لغة مشتركة بينهم، بلغ تعداد هؤلاء اليهود في الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني على النحو التالي :

في مدينة استانبول ب1647 أسرة يهودية أي بمقدار10.08 بالمائة من السكان الأصليين، أما أدرنة فكانت201 أسرة يهودية في عام 1488م/1489م[2].

ب – الامتيازات التي حصل عليها يهود الأندلس:

لقد حصل اليهود المتواجدين في الدولة العثمانية علي عديد من الامتيازات الدينية والاقتصادية وغير ذلك من الامتيازات في مجالات أخرى، فبعد عملية إسكان الطائفة اليهودية في مناطق متعددة في الباب العالي أقيمت لهم حاخاميه في العاصمة اسطنبول بقصد ربطها بالسلطة المركزية العثمانية، راعت فيها الدولة العثمانية العادات المتبعة لدينهم وتجلى ذلك من خلال منحهم حرية القيام بشعائر ملتهم بقيادة الحاخام الأكبر[3]، وسمح لهم بالتنقل داخل أرجاء الدولة العثمانية دون أي قيد أو شرط وبذلك منحت لهم الحرية المطلقة ولا يفوتنا أن تعداد أفواج يهود السفاريدم فاق كثيرا الملل أخرى تابعة للسلطنة وبذلك شكلوا النمط أو الإيقاع الخاص لتلك الملة بكاملها[4].

وهؤلاء اليهود لم يبقوا دون أي يجدوا لأنفسهم عملا فالبعض منهم قاموا بمشاركة المسلمين في مختلف الطوائف الصناعية والتجارية وقاموا كذلك بأعمال أخرى سواء أكان برا أو بحرا كصناعة الأسلحة الحربية، و بعض الأخر درسوا بعد أن تكونوا في مدرسة سالامانكا الطبية وتخرجوا منها وعملوا كأطباء[5].

كما أن عددهم تفاقم في الآستانة وأضحى ذلك يشكل خطرا على الدولة ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى تفاقم خطرهم في الدولة ترحيب الذي استقبلوا به فكانت الدولة العثمانية لهم ملاذا آمنا كما منحت رعاية وتسامحا دينيا لم يجدوه من قبل في أوروبا، إلا إن هذه الحفاوة التي وجدها اليهود و المعاملة الكريمة التي ظفروا بها في الدولة لم تمنعهم من إبراز أنيابهم في وجه الدولة متى

1- السفاريدم كلمة عبرية تعني يهوي شرقي أي اليهود اسبانيا والبرتغال الذين قاموا بهجرة بعد سقوط الأندلس 1492م أي أنهم ليسو من أصل عربي وهاته الكلمة تحمل دلالة دينية إلي جانب دلالتها الاجتماعية للمزيد انظر يوسف نعيسة، **يهود دمشق**، ط1، دار المعرفة، الإسكندرية، 1988م، ص48.

2- هدى درويش، المرجع السابق، ص ص183-191.

3- نفسه، ص164.

4- أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، مج2، ص166.

5- هاميلتون غب، المرجع السابق، ج2، ص312.

سنحت لهم الفرصة في ذلك جهة[1]والاستيلاء على أموال الأتراك الذين حموهم منذ مجيئهم للدولة من جهة ثانية مما أدى إلى زيادة ثروتهم وتحكمهم في التجارة، وصل الخبث باليهود إلى تظاهر بدخول الإسلام وتغيير أسماءهم بأسماء إسلامية فاندمجوا في جميع المجالات والأنشطة السياسية والفكرية والاقتصادية والتربوية و راحوا يعملون في الخفاء لتحقيق أهدافهم القومية[2].

وبهذا استغل اليهود تسامح الديني الذي تبنته الدولة العثمانية في سياستها مع البلاد التي تقوم بفتحها لتحقيق أغراض شخصية و الذي أوصل الآستانة في ما بعد خاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي إلى حتفها.

2-السلطان بايزيد الثاني والامتيازات الممنوحة لرعايا الأجانب:

شهدت أيضا فترة حكم **السلطان "بايزيد الثاني"** امتيازات كثيرة ممنوحة للرعايا الأجانب وذلك لانعكاس الوضع الداخلي على علاقاتها الخارجية واستطاع هؤلاء الحصول على رخصة تخولهم تحكم في التجارة و في مجالات أخرى.

من هاته امتيازات التي حصل عليها هؤلاء نجد الامتيازات الاقتصادية إذ استطاع رئيس فرسان القديس يوحنا بجزيرة رودس الحصول على امتيازات مالية عقب أسر "**للأمير جم** "والذي كان ينازع السلطان "**بايزيد**" على السلطة كما اشرنا في السابق واستغل هذا الامتياز في الابتزاز الدولة العثمانية وبقي سارعي المفعول حتى مصرع الأمير جم[3].

البندقية هي الأخرى استغلت الوضع الداخلي الذي كانت تعيشه الدولة وسيلة لعقد معاهدة مع الدولة في 6يناير 1482م الموافق ل24ذو القعدة887هـ بمقتضاها توقف دفع جزية للسلطان و وزيادة الامتيازات الممنوحة للبندقية داخل نطاق الدولة العثمانية واستغلت أيضا هاته المعاهدة وسيلة في زعزعة العلاقات[4]وبانتهاء الفتنة أعاد السلطان "**بايزيد** "الامتيازات للتجار البندقية 908هـ1502م

1- هيلة بنت سعد محمد السليمي، **دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية**، مذكرة تخرج للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا والتاريخية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م، مرقونة ص12.

2- هدى درويش، المرجع السابق، ص64.

3- إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص51.

4- نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة دكتورة في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الطيف البحراوي، كلية الشريعة والدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م، مرقونة، ص89.

على نمط الاتفاقيات التي عقدها أسلافه فيما اعتبر نقطة التحول في دور العثمانيين بالنسبة لميزان القوى في أوربا بعد تحجيم دور البندقية وخضوع طرق التجارية الدولية في البحر المتوسط لسيطرتهم.

كما أن كل من مملكة بولونيا وإمارة فلورنسا كانوا أيضا ضمن الذين استفادوا من هاته معاهدة الامتيازات إذ حصلت مملكة بولونيا على امتيازات تجارية سنة 895هـ-1490وبعد ذلك بعامين تم تعيين أول سفير لدى الدولة العثمانية من طرف روسيا[1]، أما إمارة فلورنسا منحت لها سنة 904هـ/1499م امتيازات إضافية واستفادت من الوضع لتؤمن سياستها التجارية في الإمبراطورية العثمانية عن طريق إرسال سفارة سنة 1493[2].

1 - ياسر بن عبد العزيز القاري، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، رسالة دكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي، ج1، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م، مرقونة، ص74.

2 - روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر بشير السباعي، ط1، ج1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993م، ص162.

ثالثا: التسامح الديني في عهد سليم الأول:

لقد اختلف عهد السلطان "**سليم الأول**" عن أسلافه، فالسلاطين الذين كانوا قبله التي اتجهوا بفتوحاتهم نحو الشعوب الواقعة في أوربا، أما "**السلطان سليم**" فاستطاع أن يضم داخل حدوده وتحت سيادته شعوب مختلفة من بلاد أوربا [1] ومن البلاد العربية [2].

إذ امتدت سراياه خلال النصف الأول من القرن السادس عشر م لتشمل ثلاث قارات "إفريقيا أوروبا فأصبح بذلك العثمانيون القوة العظمى في العالم الإسلامي وحماة الأراضي المقدسة المسيحية منها والإسلامية في فلسطين وشبه الجزيرة العربية والعراق[3].

فضمت الدولة العثمانية داخل حدود وتحت سيادتها شعوبا مختلفة كان لزاما عليها احتوائها وضمان حرياتها الدينية بالرغم من تعصب لدين الإسلامي الذي اتصف به السلطان إذ أراد أن يجعل منها شعوبا مسلمة و إكراها لا طواعية وحتى أن اضطره الأمر إلى محاربتها جميعا هذا الأمر لم يرضى به شيخ الإسلام **زمبيلي علي جمالي أفندي** و استقبحه كما منعه من ذلك [4].

بعد جدال مع السلطان "**سليم الأول**" وشيخ الإسلام اقتنع السلطان و ذلك امتثالا لشرع الشريف وتعامل معهم بدون تعصب أو ظلم واكتفى منهم بالضرائب أو" الجزية " التي جمعت من خلال زعماء دينين أو مدنين محليين كما تعامل معهم في إطار التسامح [5].

فسار السلطان في تعامله مع الشعوب غير المسلمة على نهج سلاطين أل عثمان وكانت البلاد العربية مثالا عن سياسة التسامح الديني لسلطان **سليم الأول** لأنها كانت في حد ذاتها خليطا من الأجناس والأديان وكانت هذه السياسة في البلاد العربية إسقاطا على الملل في البلدان الأخرى وجاءت سياسته على النحو التالي:

1- جوزيف أبو نهرا، "**المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني**"، المؤتمر الدولي "**خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى زمن التحولات 24و26 كانون الثاني2013م**"، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، لبنان، 2013م، ص4.

2- أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص161.

3- جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص04.

4- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص58-60

5- حسن العودات، **العرب النصارى**، ط1، دار لأهالي، دمشق، 1992م، ص158.

1-سياسة التسامح بعد فتح البلاد العربية :

أ- فتح البلاد العربية :

1-المشرق العربي 1516م-922هـ:

توجه "**السلطان سليم الأول**" نحو المماليك في 922هـ -1516م واستطاع أن يكسب انتصارا كبيرا على السلطان المملوكي "**قانصو غوري**" في معركة مرج دابق و فتح له هذا الانتصار طرقا إلى العديد من المناطق، وفي العام نفسه أرسل أشراف حلب رسالة طاعة واستسلام إلى "**السلطان سليم** "وألحقت القلاع التالية قلاع حلب وأنطاكيا وحمته وحمص بالدولة العثمانية [1]، كما انه تمكنت القوات العثمانية ضم جنوب سوريا وصفد ونابلس والقدس وعجلون وغزة والمدن الفلسطينية[2]

في ذات العام تم إرسال السلطان رسالة إلى "**طومان بك**" الذي حل محل "**قانصو**" واخبره انه سوف يقوم بفتح مصر وبالفعل تم ذلك بعد عام أي 1517م في معركة الريدانية أو ريضانية وألحقت بمصر بدولة العثمانية[3]

بعد الفتح الكبير للبلاد العربية كان لابد للسلطان تنظيمها وخاصة وأنها احتوت بداخلها شعوبا مختلفة العرقيات والأديان بالرغم من اتحاد لغتها كالمسيحية التي جاءت على اثر الحملات الصليبية على المشرق، واليهودية أيضا تواجدت هناك بفعل الحملات الصليبية من جهة هجرات اليهود الأندلس كما اشرنا في السابق، كما أن المسلمين أنفسهم لم يكونوا على مذهب واحد و فرقة واحدة فتعددوا واختلفوا فنجد السنة والشيعة بفرقها و الدروز والخوارج وغيرها من الفرق الأخرى، إذ احتوت اليمن على العرب والزيدية، كما انه شرق الجزيرة العربية احتوت على قدر من الخوارج، ويوجد الدروز والنصرانيون العلويين فكل من سوريا ولبنان والعراق التي فتحت فيما بعد احتوت على قدر من العرب وعلى الإيرانيين الأكراد المتبعين الإثنتا العشرية الشيعية وعدد هائل من الزيديون [4].

أبقى السلطان سليم الأول على جميع النظم والقوانين التي وجدها في الإدارة المملوكية دون أي تغير سواء أكان ذلك في أسلوب عمل هاته الإدارة أو في موظفيها [5]إذ يقول علي باشا مبارك صاحب كتاب من "**الخطط الجديدة لمصر والقاهرة" «أبقى السلطان ما كان مقرر للحرمين**

1- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص213.

2- سيد السيد محمود، المرجع السابق، ص244

3- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص213.

4- أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص161.

5- حسن العودات، المرجع السابق، ص155.

الشرفيين والمساجد و الأضرحة والأرامل والأيتام والفقراء وغيرهم من الأوقاف والرزاق بل زاد في ذلك ورخص لهم استخدام ما بقى من المماليك والقوانين و النظامات ما رأى انه ترتب عنه استمرار التبعية السلطنة »[1] كما حاول السلطان إعطاء هذه الشعوب الحرية ومنحها استغلالا كبيرا في إدارة شؤونها المحلية كما ترك لهم حرية العادات والتقاليد المعمول بها سابقا[2].

إذ خضعت الملل في دولة المماليك بصفة خاصة وبلاد العربية بصفة عامة، إلى نفس الشروط التي خضعت لها الطوائف الذميين البلاد الأوربية لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وقام السلطان بتنصيب رسميا بطاركة والحاخامين كان هؤلاء يتعاملون مع حكومته في جميع الشؤون العائدة لأبناء طوائفهم[3].

2-البلاد المغرب العربي :

كما أن المغرب العربي هو الأخر خضع لسيطرة العثمانية في هذه الفترة وجاءت هذه السيطرة نتيجة استنجاد لهؤلاء الشعوب أنفسهم بالدولة العثمانية مثلما حصل مع الجزائر التي عرفت اغلب شواطئها مع بداية القرن 16م احتلالا من طرف اسبانيا جاء هذا الاحتلال في إطار الحروب الصليبية ضد الإسلام وبرعاية الكنيسة البابوية واسترجاع و الانتقام من الأندلسيين الذين أتوا لجزائر و بدأوا قيام بالغارات على السفن الاسبانية تزامن هذا الاحتلال مع تواجد الأخوة بربروس في المنطقة الذي أتوا على اثر استنجاد المسلمين المهجرين من الأندلس [4] اتصل أهل مدينة الجزائر بهم ،وتم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في 1518م جاء هذا الإلحاق نتيجة طلب أهالي الجزائر أنفسهم من السلطان العثماني بعد رسالة قاموا ببعثها كما أن السيطرة العثمانية لبلاد المغرب العربي كانت أو في إطار التوسعات والفتوحات الدولة العلية في هذه الفترة مثلما حدث مع تونس 1533م.

وبعد فتح العثماني لبلاد المغرب العربي ترك السلطان "**سليم الأول**" التركيب الاجتماعي للمغرب العربي على حاله والقوانين على حالها و ما يثبت هذا إيالة الجزائر فمثلا تركيبها الاجتماعي

1- علي باشا مبارك، **من خطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ج1، ط1، مطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1305هـ، ص55.

2- اندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1991م، ص41.

3- حسن العودات، المرجع السابق، ص 158.

4- وليم سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق، عبد القادر زبادية، د.ط، دار القصبة، الجزائر، 2006م، ص34-39

يعكس لنا التنوع العرقي في هذه الفترة من حيث الأصول والخلفيات لمجموع المواطنين بها إذ أدى حضور العثمانيين إلى تزويدها بلحمة هامة من امتزاج الثقافي الموجود من قبل إذ ضمت السكان المحليين على اختلاف معتقداتهم المذهبية الأتراك والكراغلة والمغاربة والمسيحيين واليهود كل هؤلاء حاولت الدولة العثمانية ضمان حريتهم الدينية [1].

كما أن وضعية الأسرى المسيحيين في الجزائر كانت تعبر عن التسامح الديني في هذه الفترة إذ كانوا يقصون نهارهم أحرارا مقابل دفعهم مبلغا ماليا كل شهر، وتمتع الكل بالجزائر بحرية المعتقد فالأجانب يكرمون والكل في وضعية تمكنهم من القيام بما يرغبون فيه والأسير المسيحي يستطيع الحصول على حكم عادل على أية معاملة سيئة يتلقاها من سيده [2].

كما أن الميزابين المنحدرين من لاجئي الإباضين الخوارج الذين همشوا من الفاطميين وجدوا خلال القرن العاشر هجري و السادس عشر ميلادي صدى وتجاوبا مع الحكم العثماني في الجزائر فاحترمت الميزابين وسمح لهم بالمحافظة على أمين موكل من طرفهم في مدينة الجزائر مع حق التقاضي من طرف قاضيهم المقيم في غرداية واعترف لهم بمذهبهم الإباضي كعلامة شرعية لملتهم [3].

هناك تميز عرقي بين هاته الطوائف في البلاد العربية ويتضح جليا من خلال منح للعنصر اليوناني في الأقاليم السورية امتيازات كبيرة مقارنة بباقي الملل وما يثبت هذا إصدار ساهم فيه البطريك جرموناس بعد فترة قصيرة من الفتح الذي قاده "**سليم الأول**" وقد استثنى هذا التشريع السكان المحللين من العرب في سوريا وفلسطين من دخول الأديرة اليونانية وبهذا منعهم من الوصول إلى المناصب الدينية العليا وحصرهم ضمن صفوف رجال الدين العلمانيين[4]، كما أن هناك من الطوائف كانت اقل اتصال بحكام اقل بالحكام لإقامتها بعيدا عن السلطة كأقباط مصر والموارنة والنساطرة والسريان والارثودكس في لبنان وسوريا والعراق وفيما بعد بغداد، ومع ذلك فقد كان بطاركتها ينالون اعتراف السلطات من حين لأخر[5]، وكانت الحكومة العثمانية نادرا ما تتدخل في شؤون هؤلاء المسيحيين واليهود ماداموا يؤدون الضرائب بانتظام ولا يشكلون خطر التحالف مع الدول أجنبية.

1- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص97.

2- ج.أو.هابسترايت، رحلته إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م، تر وتق وتع، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص46.

3- وليم سبنسر، المصدر السابق، ص100.

4- هاميلتون غب، المرجع السابق، ص 319.

5- حسن العودات، المرجع السابق، ص.158

2-نموذج ملة اليهود في البلاد العربية :

يعود أصل تواجد اليهودي في البلدان العربية في المشرق العربي إلى الموجات من الهجرة متتالية، أقدمها في القرن السادس قبل الميلاد ،واتجه البعض منهم إلى المغرب العربي، وحاول هؤلاء اليهود الاندماج مع العرب [1]، وخلال القرن الخامس عشر ميلادي بدأ عددهم في تزايد الفضل في ذلك تلك الهجرات التي الذي عرفها العالم خلال هاته الفترة إذ هجروا من العالم الغربي من بولندا والنمسا وألمانيا وايطاليا على اثر الاضطهاد التي لاقوه هناك متجهين إلى مناطق عديدة من بينها المشرق العربي[2]والى إفريقيا الشمالية المغرب العربي.

فعندما قام السلطان **سليم الأول** بفتح البلاد العربية الشام ومصر، وجدهم ضمن الشعوب الساكنة في هاته المنطقة، كان من الضروري إصدار قوانين جديدة تخص المجتمع اليهودي موجب هاته القوانين [3]، اعتبر اليهود مصر من أهل الذمة شأنهم شأن النصارى والصابئة[4] اقر فيها لزعمائهم الدينين كافة الصلاحيات، وقام بربطهم بالعاصمة استانبول ولقب كل واحد منهم رابي رئيس القضاة ولقب بنجر أو ريس[5]، وكانت وظيفة الريس مشابهة لزعماء المنفى الذين حكموا المجتمع اليهودي في بلاد الرافدين [6] كما أعطى كل جماعة يهودية حق حكمها بنفسها تحت سيطرة الحاخام المحلي [7].

والحال ذاته مع يهود الشام بعد فتحها عام 922هـ/1516م في معركة مرج دابق اعتبروا ثاني ملة من أهل الذمة ومثلهم في القسطنطينية الحاخام الأكبر، تمتعوا بجميع حقوقهم وفي مختلف المجالات إذ كانوا يعفون من الخدمة العسكرية، وكان لزاما عليهم بعض الواجبات كدفع مال الجزية مقابل حماية الإسلام لهم لذا خصصت الدولة العثمانية لهؤلاء ديوانا في ولاية دمشق ديوانا خاصا لجمع المال الجزية أطلقت عليهم اسم ديوان الجوالي [8].

واندمج هؤلاء اليهود وتمتعوا بجميع الحقوق التي تمتع بها المواطنين العرب علاوة على ذلك فلقد احتفظوا بشعائرهم الدينية وتراثهم وانتماءهم الطائفي.فكانت معاملة اليهود على يد السلطات

1- يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص07.

2- هدى درويش المرجع السابق، ص 183

3- هاميلتون غب، المرجع السابق، ص321.

4- يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص6.

5- هدى درويش، المرجع السابق، ص164.

6- هاميلتون غب، المرجع السابق، ص 319.

7- هدى درويش، المرجع السابق، ص164.

8- يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص6.

العثمانية أفضل من معاملة المسيحيين إذ يقول حاخام اليهود "**موسى سيسون** "الذي كان في دمشق **«إن المسلمين يضطهدوننا ككل الناس بسبب طبيعتهم الجافية في حين أن المسيحيين يضطهدونا عمدا »** [1].

كما أن يهود تواجدوا في إفريقيا منذ احتلال الأول للقدس وتزايد عددهم على اثر طرد الاسباني لهم وعرف هؤلاء باسم دوران وراشباط وفاريات وريباش والذي ينضوون تحت اسم السفاريدم تحت حكم الحاخام وبعد عملية إلحاق الجزائر بالباب العالي وأصبحت نيابة عثمانية 1519م، تم حصولهم على إذن الهجرة من خير الدين باشا الذي سمح لهم بإقامة المدنية [2] وكلف كل يهودي بدفع ضريبة عن كل شخص منهم تقدر بريالين في كل شهر وهذا ما يضمن حريتهم[3] ما سمح لهم بممارسة نشاطات عدة من بينها الأعمال التجارية وقيام بالمفاوضات مع التجار الأجانب وهو ما يتطلب معرفة باللغات والمعاملات الخارجية للبحر الأبيض المتوسط [4]

كما أن فئة اليهود المتواجدة في المشرق العربي حصلت على العديد من الامتيازات التي جسدت في شكل معاهدات موقعة من طرف الدولة العلية أبرمتها مع مختلف الدول تضمنت هاته المعاهدات حقوق الأقليات المقيمين بالدولة كفلت فيها الأستانة حماية لهؤلاء اليهود.

ومن بين هاته المعاهدات المبرمة نجد معاهدة البندقية التي وقعت عام 1517م بناءا على طلب التجار الأجانب التي تضمنت إبقاء على كل النظم والقوانين التي تخص هؤلاء الأقليات واستمرار كل القواعد التي كانوا يتبعونها قبل دخولها تحت الحكم التركي[5].فهكذا امتد حكم السلطان **سليم الأول** ليشمل ثلاث قارات وتكفل بكل الشعوب التي كانت في كنف الدولة على اختلاف قومياتها فمنطقة الشرق الأوسط لوحدها تضم كنائس متنوعة الروم الأرثوذكس، السريان، اليعاقبة، الأرمن، الموارنة والكلدان والأشوريون والملكيون واليهود والطوائف الإسلامية والمسحيين فضلا على مناطق أخرى وحاول سليم الأول الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم وإعطاءهم حقهم في ممارسة شعائرهم [6].

1- يوسف نعيسة، المرجع السابق، ص6.

2- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، تر** محمود علي عامر، ط1، دار النهضة، بيروت، 1409هـ/ 1989م، ص 408.

3 -ج.أو.هابنسترايت، المصدر السابق، ص33..

4- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص100.

5- هدى درويش، المرجع السابق، ص164.

6- جوزيف أبو نهرا، المرجع السابق، ص04.

المبحث الثالث

مظاهر التسامح الديني من خلال السلطان سليمان القانوني

أولا : نبذة تاريخية عن السلطان سليمان القانوني.

ثانيا :نظام الدوشرمة.

ثالثا : تعامله مع رعايا الدولة والرعايا الأجانب.

أولا :نبذة تاريخية عن السلطان سليمان القانوني 1520م/1566م:

سليمان القانوني من سلاطين بن عثمان هو أعظم سلطان بعد "**محمد الفاتح**" بلغت الدولة العلية في عهده أعلى درجات العلى

1- المولد والنشأة:

ولد "**سليمان** "المشرع في غرة شعبان سنة 900هـ[1]الموافق ليوم الاثنين 27 أفريل 1495 م بمدينة طرابزون، تلقى تربيته الأولى على يد والدته [2]وعلى جدته أم والده "**جلبهار**"، بعد بلوغه سبعة سنوات أُخذ إلى جده السلطان "**بايزيد**" في اسطنبول لتكتمل عملية تربيته هناك [3]، نشأ "**سليمان** "محبا للعلم والأدب والفقه، وإشتهر بالجدية والوقار[4]، تمت عملية تعليمه من طرف العالم خير الدين الخضر أفندي فلقنه العلوم الإسلامية والتاريخ والأدب، كما انه تعلم الفروسية وفنون القتال فضلا عن صياغة الذهب كجده **بايزيد** والجدير بالذكر أن عادة تعليم كل أمير صنعة يدوية متوارثة في سلاطين أل عثمان[5].

اعتلى في السلطة وأصبح سلطانا بعد وفاة أبيه سلطان "**سليم الاول**" 926 هـ/1520م وكان يبلغ من عمر آنذاك 26 سنة[6]، إذ بعد وصول خبر وفاة أبيه قصد استانبول ودخلها في 16 شوال الموافق 29 سبتمبر من نفس السنة وجد الانكشارية في انتظاره، وفي اليوم الموالي لصبيحة 17 شوال تمت رسوم المقابلات السلطانية ووفدت عليه جميع الشرائح من أمراء و وزراء واعيان من اجل أمران أولها تعزية سليمان بوفاة أبيه وأما الأمر الثاني مباركته بخلافة أبيه [7].

1- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص198.

2- حفصة زوجة السلطان سليم الأول لا توجد معلومات كثيرة عن حياتها توفيت عن عمر يناهز 56 سنة للمزيد انظر محمد الثقفي، **زواج السلاطين من الأجنبيات وأثره على إضعاف الدولة**، مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف علي رابع الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ص113.

3- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص74

4- محمد خير فلاحة، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، د.ط، د.د.ن، د.ب، دس، ص46.

5- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص74.

6- محمود مقديش، المصدر السابق، ص48.

7- محمد فريد بك، المصدر السابق، ص198.

2- ألقابه وهوايته وفاته :

كان "**سليمان الأول**" من امجد الحكام العالم بأسره فاستحق بذلك لقب العظيم والفخم لخوضه ثلاثة عشر حملة حربية واشترك مع بقية السلاطين في العديد من الألقاب [1]كلقب خان والشاه والسلطان الأعظم، وأطلق عليه بعد الفتوحات في البلاد العربية لقب ملك ملوك العرب والعجم ،أما لقب الخاقان المعظم فأطلق عليه بالمدرسة السليمانية ولقبه شعبه بالقانوني والمشرع [2]أي جامع القوانين لكونه ساهم في تدوين وتنظيم القوانين وتطبيق العدالة.

ولسلطان **سليمان** هوايات كثيرة إذ كان شاعرا له ديوان كبير في هذا المجال وكان شعره الغزلي موجه لمحبوبة قلبه **الكسندرا** المعروفة **بهيام "خرم"**، فضلا عن إجادته لخطوط واللغات الشرقية خاصة العربية منها وأبدى اهتمامه بها وتجلى ذلك من خلال استنساخه للقران الكريم[3]كما اعتبر من المجددين لهذه الأمة نظرا لكثرة علمه وعمله وأدبه علاوة لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر[4].

كما اتصف بالعدالة والرحمة والكرم من خلال حرصه على حماية أرواح وأملاك الأشخاص مما جعله ينال محبة شعبه وإعجابهم، إذ كان إذا ذهب إلى المسجد يوم الجمعة لزم الناس الصمت عند مروره و انحنى هو تحية لهم لكونه شديد الإحساس والانفعال بالحب وسرعة التأثر[5]، كما عرف عنه التأني في جميع أموره والتريث وعدم الاستعجال لعمق تفكيره إذ يفكر ثم يقرر ليصل إلى ملاذه و مبتغاه كما كان صارما لا يعرف الرجعة في قراراته[6]، ولم يلازم النساء لدرجة إضعاف صحته وقوته[7].

3-غزواته وسراياه :

كان "**سليمان** "محبا للجهاد في سبيل الله فأذل نفسه وخزائن أمواله لإعلاء كلمة الله بحيث لم ترفع راية في زمانه للإسلام ولم يوجد أكثر منه جهادا ونصرة للدين إذ قام بحملات متعددة وصلت فيها سراياه مشارق الأرض ومغاربها فافتتح بلاد شاسعة والأقطار واسعة بالقهر والحجة والسيف من

1- سعيد أوزتورك المرجع السابق، ص236.

2- مصطفى بركات، المرجع السابق، ص17-31.

3- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص228.

4- محمود مقديش، المرجع السابق، ص49.

5- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص229.

6- محمد خير فلاحة، المرجع السابق، ص 46

7- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص229.

خلال قيامه بحوالي 13غزوة ثلاث لإطفاء نار البدعة[1] و العشرة الباقية لإطفاء نار الكفر[2]في كل من بلغراد، جزيرة رودس، المجر، بغداد، وان كورمو، بوغدان، وأجزاء من شمال إفريقيا.

فالسلطان **سليمان القانوني** "تسلم الإمبراطورية العثمانية ومساحتها حوالي 7.5 مليون كلم تقريبا فوسعها بفتوحاته إلى ما يقارب 15 مليون[3]وكانت الدولة تضم في عهده المجر ما عدا أستراك و أردل أي رومانيا ويوغسلافيا وبلغراد وكرواتيا وسلوفينيا ومناطق أخرى في أسيا رودس مع الجزر لايتي والسعودية وغربي جورجيا وقسم المتبقي في الأناضول واليمن والكويت والبحرين وحضر الموت وقطر ومناطق أخرى في إفريقيا والصومال، جيبوتي، حبشة، ليبيا، تونس، تشاد والصحراء الكبرى[4].

4- أعماله وانجازاته :

لقد كانت لسلطان **سليمان المشرع** العديد من الانجازات التي بقيت مخلدة في تاريخ حكمه إذ ترك بصماته في مظاهر التقدم السياسي والثقافي ويعود هذا إلى النظام الداخلي الذي طبقه[5] فشمل الازدهار جميع مناحي الحياة السياسية والعلمية والثقافية والقانونية والمالية حتى بلغت في زمنه الدولة ذروتها كما انه قائدا كبيرا ورجل دولة مقتدر ورجل إدارة من خلال قيامه بتوسيع قوانين التشكيلة الإدارية الموضوعة في عهد السلطان محمد الفاتح كما أجرى بعض التغييرات فيها [6]فضلا عن تنظيمه للجيش والإقطاع الحربي إذ قام بتقسيم الانكشارية إلى 3 أقسام وفي عهده بلغ تعداد الجيش 35الف جندي وأيدهم ب300مدفع وأسطول بحري 300سفينة [7]علاوة على اهتمامه بالجانب البحري إذ أعطى له أهمية كبيرة وعمل على تطوير الأسطول فكان اهتمامه به يضاهي اهتمامه بالجيش[8].

كما اهتم بقوانين الملكية (الأرض) وحاول تطبيق العدالة و إنصاف مع التجار و قام بتنظيم المحاكم والشرطة فبذلك حقق المساواة بين الرعية وتجسدت هاته المساواة من خلال إعلائه لوظيفة

1- المقصود بنار البدعة التمردات والفتن التي كانت في البلاد العربية في كل من الشام بقيادة جاندرلي الغزالي و مصر تمرد الوزير الثاني احمد باشا، ومحاربته للخطر الشيعي الصفوي.

2 - محمود مقديش، المرجع السابق، ص49.

3- أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص73.

4- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص240.

5- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص228.

6- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص240.

7- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص228-229.

8- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص291.

المفتي إذ جعلها من اكبر الوظائف العلمية[1]كما انه اهتم بالجانب العمراني من خلال بنائه لعديد من المساجد والجوامع من بينها مسجد السليمانية الذي يتواجد بالعاصمة استانبول كما قام بتجديد أسوار بيت المقدس[2].

فعظمة السلطان سليمان الأول تكمن في تجهيزات جيشه وفي مدى اتساع حملاته وفي أعماله العمرانية وحاشيته وقوة حكمه[3]إذ تحققت أماني الدولة العلية في عهد سليمان القانوني أكثر من أيام أي سلطان أخر فأثناء توليه للحكم في الشطر الأول من القرن 16 كان رعاياه من غير المسلمين في حالة أفضل من حالة القرويين في عدة ممالك أخرى [4] وكان السلطان سليمان الأجرأ والأكرم من أنداده النصارى في مجال التسامح الديني [5]وتجسد ذلك من خلال إيجازه للنصارى واليهود حق ممارسة شعائرهم الدينية في البلاد العثمانية[6] سواء أكانوا من رعايا الدولة أو الرعايا الأجانب.

فإذا قمنا بمقارنة السلطان سليمان المعظم مع معاصريه من الدول الأوربية كهنري الثامن ملك انجلترا والإمبراطور شارل الخامس وفرانسوا الأول ملك فرنسا والبابا لاون العاشر وسيجسموند ملك بولونيا نصل إلى انه لم يكن يقل عنهم في شيء بل يمتاز عنهم بذكاء [7].

5–وفاته :

لقد كان السلطان سليمان القانوني من أعظم سلاطين بني عثمان إذ قام بتحقيق العديد من الانتصارات في مواجهة الأعداء غير انه لكل شخص نهاية محتومة ولهروب من القدر الله وقضاءه وكتب لهذا السلطان يموت وهو في إحدى سراياه في مدينة سيجتوار إذ وافته المنية هناك في 20 صفر 974هـ/الموافق 5 سبتمبر 1566م [8] ولم يعلن وافته خوفا من حدوث اضطرابات، في الوقت ذاته بعث

1- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص229.

2- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص291.

3- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص229.

4- ماري ملز باتريك، **سلاطين بني عثمان**، ط1، مؤسسة عز الدين، مصر، 1986م، ص41

5- من مواقف التي تبين لنا تسامح سليمان القانوني مع أنداده من اليهود قصة مع بيت اليهودي للمزيد انظر محمد علي أورخان، المرجع السابق، ص 84

6- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص229

7- ماري ملز باتريك، المصدر السابق، ص43

8- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص84

إلى ابنه سليم الثاني يطلعه بالخبر [1] هكذا توفى احد أعظم الذين خطوا أسماءهم بأحرف من الذهب فهو من أعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ .

ثانيا – نظام الدوشرمة :

يعتبر نظام الدوشرمة[2] مظهر من مظاهر سياسة التسامح الديني التي كان في الدولة العثمانية، فبفضل هذا النظام تم إدخال الرعايا المسيحيين المتواجدين بالدولة العثمانية–بشرط اعتناق الدين الإسلامي –في قوام الجيش وتم قبولهم على أساس هذا الشرط.

إذ أن الدولة العثمانية كانت في السابق تعتمد على نظام المحاربين المسلمين الأحرار الذين نظموا على أساس إقطاعي[3]هؤلاء المجاهدين والمسبلين كانوا يجمعون وقت الحرب فقط، ساهموا في تثبيت أركان الدولة وإرساء قواعدها غير أنهم لم يُكونوا ما يعرف بالجيش النظامي مما جعل من الدولة العثمانية تعمل على تطوير هذا النظام كونه يمثل الركيزة الأساسية لانطلاق الفتوحات العثمانية [4].

ومرت قرون عديدة والطبقة العسكرية قوامها مسلمي الأتراك سواء أكانوا هؤلاء مغامرين وزعماء المرتزقة أو رجال القبائل التركية المهاجرين أو المطرودين، ولكن نلاحظ بعد ذلك بقليل تطورا هاما تمثل في استخدام العناصر المحلية [5] .

1– نشأة نظام الدوشرمة :

يعود الفضل في تأسيس النظام الدوشرمة إلى السلطان أورخان[6]الذي تولى الحكم بعد توفي والده السلطان عثمان خان 1326م[7]، وسبب الذي جعل السلطان أورخان يقوم بتنحية نظام تجميع

---

1 – حضرة عزتلو يوسف بك أصاف، المرجع السابق، ص66

2– الدوشرمة أو الدفشرمة بإضافة الفاء هو نظام اخذ الأطفال المسيحيين من البلقان وإعادة تربيتهم على مبادئ الإسلامية وأطلق عليه ضريبية الدم للمزيد انظر نزار قازان، **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشارية**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص10.

3– إعطاء إقطاعات من الأرض يشغلوها مقابل تلبية نداء وقت الحرب وقسمت إلى ثلاثة أقسام التيمار و الزعمات و خاص للمزيد انظر، نزار قازان، المرجع نفسه، ص10.

4– أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، **دور الانكشاريون في إضعاف الدولة العثمانية**، ط1، دار القاهرة، 2007م، ص29.

5– برنارد لويس، المرجع السابق، ص78.

6– اختلفت الآراء حول من يعود إليه الفضل في تأسيس نظام الدوشرمة فهناك من يرجع إلى أورخان وهناك من يرجعه إلى ابنه مراد الأول والرأي الأرجح في عهد أورخان أما مراد فلقد أكمل تنشئته، للمزيد انظر ايرينا بتروسيان، **الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، ط1»، مركز جمعة ماجد لثقافة والتراث، دبي 2006م، ص17.

7– نزار قازان، المرجع السابق، ص10.

الجنود وقت الحرب الانحراف وعدم الطاعة التي تفشت بين هؤلاء الفرسان والمشاة لذا أقدم السلطان بعزلهم بنصيحة من خليل قرة جندرلي [1]مقترحا عليه الجيش البديل المتشكل من الأسرى[2] من هنا بدا يتشكل جيش رسمي ومحترف قوامه شبان أقوياء مسيحيين وتم تجميع هذا الجيش من خلال تجنيد أطفال العائلات المسيحية وهم في سن صغيرة[3]يؤخذون من الروملي وبالنسبة اقل من الأنضول ويتم إدخالهم في الدين الإسلامي حيث تتم تنشئتهم على مبادئ إسلامية التي يتلقوها على يد العائلات الفلاحين الأتراك كما أن هؤلاء الأطفال وخلال مدة تكوينهم يتعلموا اللغة التركية وأعراقها ثم بعد ذلك يذهبون إلى الثكنات باسم عجمي أوغلان[4]ويجرى تدريبهم هناك ويصبحون يني جري عجمي أوغلان أو الدوشرمة أوغلاني المجندون[5].

والجدير بالذكر هنا وهؤلاء الأطفال يأخذون بملأ إرادة ابائهم غير مكرهين في ذلك ، إذ هناك افتراءات غربية تنافي هذا القول وتزعم انه يتم أخذهم غصبا عنهم هذا ينافي الشريعة من الجهة واتهام لتاريخ العثماني من جهة الأخرى[6].

هذا ادعاء باطل فهناك شهادات من معاصري الحكم العثماني تبطل صحة هذا القول وتقول أن أباء وأمهات الأطفال المسيحيين أنفسهم كانوا يتوسلون لكي يقبل أبناءهم ضمن هؤلاء المجندون فلا يوجد اخذ بالقوة، فهم أنفسهم أرادوا دخول في هذا النظام لذا استلزم عليهم تغير دينهم ودخول في الدين الإسلامي لأنه احد أهم شروط الانضمام[7].كما أن هؤلاء الأطفال المجندين يعتبرون ضمن الأسرى والغنائم إذ أن الدين الإسلامي يعتبرهم كذالك ويقر لها بخمس من هاته الغنائم للدولة ولها حرية التصرف في حصتها ضمن خيارات وضعها خدمة ومنفعة للمجتمع[8].

1- عمل مستشارا ثم وزيرا لأورخان بن عثمان وكان عالما وفقيها كما عمل بعد ذلك مع أورخان للمزيد انظر هوامش، برنارد لويس، المرجع السابق، ص83.

2- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص67.

3- نفسه، ص67-71.

4- عجمي أوغلان معناه الشاب مستجد حسب يلماز أوزتونا، المرجع السابق، م2، ص388.

5- نفسه، ص388-389.

6- زياد أبو غنيمة، **جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك**، ط1، دار الفرقان، عمان، 1983م، ص122- 123.

7- مراد جه دوسون، **نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية**، تر، فيصل شيخ الأرض، الجامعة الأمريكية، بيروت 1942م، ص145.

8- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 72.

من بين الخيارات في التعامل مع هؤلاء إما قتلهم وفي ذلك مصلحة للمسلمين أو استخدامهم كعبيد لخدمة المسلمين في إطار عقد اتفاق ذمة معهم أو إطلاق سراحهم مقابل دفع فدية حسب ما نصت عليه السنة النبوية التي تجسدت في المذهب الحنفي.

واختارت الدولة العثمانية ومن وراءها السلطان مراد إدخال حصة الدولة من الأسرى في تطوير خدمات الجيش من خلال استفادة من خدماتهم في هذا المجال، كما انه جعل ذلك قانونا عمل به السلاطين الذين أتوا من وراءه[1]، ولا تجبر الدولة الجنود المسيحيين على دخول النظام إذ تركت لهم الحرية دخوله أو عدمه فهي بهذا لا تجبرهم على تغيير دينهم فان ذلك ينافي مبادئها كما ينافي القرآن[2] فمن أراد دخول النظام استلزم عليه تغير دينه.

2- استمرارية نظام الدوشرمة

كما اشرنا سابقا فالدولة العثمانية ومنذ العهود الأولى لنشاتها وهي معتمدة على نظام الدوشرمة واستمر هذا النظام قرابة 220سنة.

غير أن الشي الملاحظ هنا أن أعدادهم بدأت في يتزايد على مر السنين وعلى اختلاف السلاطين، إذ إن وصل تعدادهم في عهد السلطان محمد الفاتح إلى حوالي 3000حندي وذلك خلال 1451م أما في سنة 1477بلغ عددهم 10000 أما في عهد سلطان بايزيد الثاني فلقد نقص عددهم ووصل 8000جندي خلال سنة 1481[3].

بقي تعداد المنخرطين في النظام الدوشرمة في بداية عهد السلطان سليمان الأول 1520محصورا في 8000جندي غير انه سرعان ما عرف تزايد ليرتفع إلى جندي 12000 خلال عام 1526 استمر هذا التزايد ليصل إلى 13357خلال عام 1560 وبدا هذا العدد في تناقص سنة 1567 إذ بلغ عددهم إلى ما يقارب 12798جندي [4].

والسبب الذي جعل عدد الدوشرمة في تزايد مستمر و نادرا ما نجد تناقص في أعدادهم هو كفاءة هدا النظام في حد ذاته جعلت من سلاطين في كل مرة يحاولون من رفع من تعدادهم لان أن هؤلاء المجندين مخلصين في أعمالهم الموجهة لهم سواء في الجيش أو داخل قصر السلطاني فهم يعملون

1- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص72-73.

2- مراد جه دوسون، المصدر السابق، ص146.

3- يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص390.

4-نفسه، ص 390-395.

بكل جد ويعتبرون السلطان هو الأب الروحي لهم لذا لا يتجرؤون على عصيانه إذ أثناء عملية تعليمهم كانت طاعة السلطان من أولى أشياء التي تلقوها.

3- مناصب التي يتولاها الدوشرمة :

استفادت الدولة العثمانية من النظام الدوشرمة إذ تولى المجندون في نظام الدوشرمة العديد من المناصب في مجالات مختلفة بالرغم من أن هذا النظام في ظاهره موجه لخدمة الجيش فقط إلا انه كان له الفضل في خلق وتوفير مناصب أخرى.

ففي المجال العسكري جندوا هؤلاء بطبيعة الحال في الجيش الانكشارية و أصبحوا وهم قوة الحروب إذ ساعدوا على توفير فرق المشاة في الباب العالي وفيما بعد رجال لسلاح الإنشاءات المهندسين ورجال المدفعية وبعض القوات الخاصة [1].

كما أن هؤلاء المجندين في هذا النظام الذي اظهروا براعة يبعثون إلى القصر وأصبحوا رجال البلاط وتولوا مناصب سياسية العليا في الدولة كوزراء وصدور العظام واقتربوا أكثر من السلطة كما انه هناك من كان منهم معماريين الكبار في الدولة العثمانية كسنان باشا[2]

ونظام التجنيد في الدوشرمة كان في بداية تأسيسه يختص ويقتصر على أولاد المسيحيين فقط أي لا يأخذ بعين الاعتبار ملة اليهود بالرغم من أنها ثاني ملة في عاصمة استانبول وكذلك ملة العرب لم تكن صمن أولويات نظام التجنيد التي تقام خلال 4سنوات سواء تعلق الأمر بالعرب المسلمين والعرب المسحيين أو اليهود[3] ولكن مع مرور الوقت اتسع نطاق هذا النظام ليضم و يعتمد على الملل الأخرى ما في ذلك الملة الإسلامية ، وكان ذلك في مطلع القرن السادس عشر بالتحديد خلال عام 1515م إذ تم اخذ مسلمي البوسنة الذين أصروا على أن يؤخذ أولادهم إلى استانبول وبناءا على طلبهم تم اخذ ألف صبي وتكررت هذه العملية مرارا خلال هذا القرن [4]

كما أن هناك من الأسر المسيحية و المسلمة في البوسنة وأماكن أخرى أقدمت دفع الرشوة رغبة من اجل إلحاق أبنائهم في نضام هذا النظام نظرا لمناصب الحساسة التي أصبح يتولها هؤلاء

1- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص123

2- لويس برنارد، المرجع السابق، ص88.

3- هاملتون غب، المرجع السابق، ج2، ص317-319.

4-بيتر شوجر، **أوربا العثمانية 1354/1804م في أصول العرقي في الصرب والبوسنة**، تر، عاصم الدسوقي، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998م، ص77.

المجندين إذ هناك من يكون في منصب أغا دار السعادة بعدة فترة قصيرة يصبح وزير الأول "صدر أعظم " مثلما حدث مع" **إبراهيم باشا** "في عهد السلطان "**سليمان القانوني**" [1].

ثالثا – سياسته مع رعايا الدولة ورعايا الأجانب :

1– سياسته مع رعايا الدولة :

سار السلطان **سليمان القانوني** على نهج السلطان **سليم الأول** في سياسة التسامح اتجاه أهل الذمة ويتضح ذلك من خلال الفتوحات التي قام بها فبعدما فتح جزيرة رودس 1523 م، جاء اليهود الذين كانوا قد استقروا في السابق في جزيرة ساقيز إلى رودس وقام بمنحهم حق صناعة المعدن والكبريت وأعطاهم إمكانية الثراء ولا ننسى أن هؤلاء يهود يملكون أموال فحينما فتح أمامهم مجال استثمروا هاته الأموال [2].

كما أن في عهد السلطان **سليمان** شهد تجديدا في حكم الملة اليهودية فقد عين كاخية يمثل مصالحهم أمام الحكومة تشبه مهنة عمل كاخيات الطوائف وكان يهوديا لكنه كان يملك الحق بالوصول إلى السلطان ووزراء الباب العالي [3].

عند فتح بودابست في عام 1525 م قام بتخصيص سفن لنقل اليهود الذين كانوا في حالة سيئة في كل من بوديين وبودابست كما أعلن انه لم يمسهم أي ضرر أو سوء فنقل ما يقارب ألف أسرة من الرعايا اليهود المستأمنين في دار الإسلام، واسكن العديد منهم في أماكن مختلفة من الأستانة ويقول **"أرسلت فرقة اليهود سيلانيك وسائر المملكة "** [4].

كما أن سلطان "**سليمان المشرع** "بعدما فتح قبرص اعترف رسميا بها، ومنذ البداية بالكنيسة كمؤسسة مستقلة وكان حاكمها هو مطران العاصمة رئيس أساقفة قبرص[5] وبعدما فتح المجر جلب منها اليهود ووطنهم في حلاوة وسكوني و أدرنة كما منحهم امتيازات عديدة إذ استفاد هؤلاء من

---

1 – بيتر شوجر، المرجع السابق، ص77–78.

2 – هدى درويش، المرجع السابق، ص165.

3 – هاميلتون غب، المرجع السابق، ص321.

4 – هدى درويش، المرجع السابق، ص165.

5 – هاملتون غب، المرجع السابق، ص319–320.

حقوق المواطنة ووصف اليهود هاته معاملة بمعاملة المسيح المنقذ كما سمح لليهود باستيطان بعض أجزاء من فلسطين عام 1561[1].

أ- تعداد أهل الذمة في عهد سليمان القانوني:

انطلاقا من مجموعة الدفاتر التي تضمنت عهد السلطان "**سليمان القانوني**" خلال 1535/1520 م[2] فلقد بلغ عدد أهل سكان الدولة العثمانية آنذاك 11،692،488نسمة وكان معدل المسلمين 58،12 بالمائة ومعدل المسحيين 41،34 بالمائة أما اليهود فكانوا بمعدل 0،54بالمائة ولم يكن من طبعة العثمانيين أن يتدخلوا في شؤون الدينية لأي طائفة تعيش فوق أراضيهم [3].

وبلغ التسامح عند" **سليمان القانوني**" أن اتخذ لنفسه زوجة بعدما كانت في السابق من أهل الذمة ويقال عنها أنها كانت من ملة اليهود تدعى "**روكسلانة** "[4] أو "**الكسندرا**" وكانت هي الآمرة والناهية واستطاعت أن تصل إلى أهداف رسمتها لعل أبرزها تولي ابنها "**سليم الثاني**" لعرش الدولة العثمانية كما أن لسلطان "**سليمان الأول** "طبيب وهو مقرب منه كثيرا يدعى "**جوزيف ناسي**" يقال عنه انه يهودي واحتل مكانة مميزة عنده [5].

2- سياسته مع الرعايا الأجانب :

إن ما يميز السلطان عن بقية السلاطين بني عثمان في سياسة التسامح الديني وهو انه سار على نهجهم في سياسة التسامح الديني إضافة إلى إضفاء لمسته في هذا المجال إذ انه منح حرية مبالغة، هذه الحرية لم تشمل فقط لرعايا الدولة بل أشرك فيها رعايا الأجانب الموجودين في الدولة إذ أعطى لهم حرية مسرفة مست مختلف الجوانب خاصة الدينية والاقتصادية والتي تحولت فيما بعد إلى حرية سياسية لم تكن معهودة من قبل هذا يعني انه كانت هناك معاملات مع الأجانب ولكن كان ذلك ضمن إطار محدود.

---

1 - هدى درويش، المرجع السابق، ص ص165-166.

2 - انظر ملحق رقم (1)و(2) فيما يخص عن عدد السكان الطوائف الموجودة في الدولة العثمانية وتوزيعها في المدن.

3 -أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 553.

4 -خورم سلطان هي زوجة السلطان سليمان المعظم يقال عنها أنها أوكرانية اسمها الحقيقي الكسندرا ليوفسيكا، لقبت بخورم أو خورم شاه، للمزيد انظر، محمد الثقفي، المرجع السابق، ص115-116.

5 - هدى درويش، المرجع السابق، ص164.

أ- بداية التعامل مع الرعايا الأجانب :

لقد كانت تجارة استانبول في أبدى اليونانيون لعدة قرون [1]وكان لوقوع الأراضي بين المراكز التجارية الشرقية والغربية أن جعلها تواصل جذب اهتمام التجار الأوربيين وكانت الدول الواقعة في بحر الأبيض المتوسط كالبندقية وجنوة تمارس هذا النشاط في الأناضول والبحر الأسود بموجب الاتفاقيات التجارية التي حصلوا عليها من البيزنطيين ومن السلاجقة قبل ظهور العثمانيين في الأناضول لمدة طويلة[2] بمجرد ظهور إمارة بن عثمان التي كانت في توسع على حساب السلاجقة والبيزنطيين فكان من المنطقي أن يرث العثمانيون مؤسسة الامتيازات[3]عند سيطرتهم على هذه المناطق ابتداء من القرن 14 م [4].

ومع تنامي قوة العثمانيين في الأناضول اعترفوا -ابتداء من أواسط القرن 14م- للجنويين والبنادقة وكان ذلك بالتحديد في عام 1352م بحق التجارة في تلك الأراضي كما قدم "**محمد الفاتح**" معاهدة1478م للبنادقة سمحت لهم بالتجارة في طرابرون وأكمل على منواله باقي سلاطين العثمانيين ومع مرور الزمن وخاصة مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر عرفت هاته المعاهدات ارتفاعا كبيرة في نسبة إعطائها علاوة على إضافة لها بنود شملت مختلف المجالات والميادين[5].

ب- دوافع منح معاهدة الامتيازات 1536م:

ومن الدوافع التي جعلت الدولة العثمانية إلى عقد مثل هده المعاهدات الوضع السياسي المعقد التي كانت تعيشه في علاقاتها الخارجية مع الدول الأوربية من ناحية والدولة الصفوية من ناحية أخرى انعكس على الجانب الاقتصادي للسلطة خاصة وان قوة السلطة العثمانية قد ارتبط إلى حد

---

1 - ماري ملز باتريك، المصدر السابق، ص43

2- أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص685-668.

3- الامتيازات:لغة تعرف بكابوت caputو كابتال capital وتعني الأساسيات في الوثائق أو الخطوط العريضة أما اصطلاحا هي مجموعة الحقوق تمنح لدول الأجنبية من قبل دول أخرى بناءا على اتفاق أو معاهدة مبرمة بينهما أو منح إذن خاص أو استثناء من مجتمع ما أو دولة ما وقد تنوعت الامتيازات تجارية وسياسية كحرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية المختلفة وانتخاب المجالس الدينية ورؤسائها، للمزيد انظر وليد العريض، **تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وأثارها**، ص147.

4- وليد عريض، المرجع السابق، ص147.

5- أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص686.

كبير بالتوسع الذي يجلب المال والخراج[1]كما أرادت السلطنة الاستفادة من الحرب المذهبية القائمة بين الكاثوليك والبروتستانت وسعت لبناء علاقات متميزة مع البروتستانت واستخدمت من تحالف صربية تسمح لها بالتدخل العسكري ضد أي دولة [2].

ج– الامتيازات في عهد السلطان سليمان القانوني :

إن الكلام عن الامتيازات التي أعطتها الدولة العلية للدول الأجنبية ولرعاياها من أهل الذمة في الداخل من أصعب المسائل التي يقف عندها محللو التاريخ العثماني لعدة أسباب نظرا لاختلاف كل عصر عن الأخر وخاصة فيما يتعلق بالامتيازات التي قدمتها الدولة العثمانية في عهد السلطان "**سليمان القانوني**" فكانت هذه معاهدة الامتيازات 1536بالذات غيرت مجرى التاريخ[3].

د– ظروف إبرام الامتيازات1536 م :

بدأ العمل بنظام الامتيازات الأجنبية الرسمية في 1536م على اثر التحالف 1526 م الذي قام بعقده السلطان **سليمان القانوني** مع والدة ملك فرنسا **فرانسوا الأول** الذي كان قد وقع أسيرا في يد إمبراطور ملك اسبانيا شارل الأول من اجل يساعدها من اجل خلاصه. تم عقد هدا الاتفاق وبعد مرور عشر سنوات تقريبا توج هذا التحالف بهبة سلطانية جديدة من التحالف العسكري السياسي في فيفري 1536م وعرفت آنذاك بنظام الامتيازات الأجنبية[4]

هـ– طبيعة بنود معاهدة الامتيازات1536 م:

لقد تضمنت معاهدات الامتيازات 1536م لعدة مبادئ من بينها :

المبادئ القانونية التي تضمن الإقامة للمستأمنين من رعايا الدول الأجنبية في ممتلكات الدولة العثمانية علاوة على ضمان حق ممارسة نشاطهم التجاري المشروع فيها وتقرير حق الرعايا كما نصت تلك المواثيق السماح للأوربيين الأجانب بدخول الأراضي العثمانية والاستقرار فيها ومنحهم الحرية الشخصية وعدم دفع الجزية ومنحهم حرية الديانة وسمحت لهم بممارسة معتقداتهم الدينية وتجدر الإشارة هنا انه على اثر هذه الامتيازات تم إرسال إرساليات دينية كاثوليكية عدة إلى كافة بلاد الدولة

1- إدريس الناصر الرائسي، **العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر، ط1**، داري الهادي، بيروت، 2007م، ص258.

2- قيس العزاوي، المرجع السابق، ص21-22.

3- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص63.

4- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص18-19.

الموجود بها المسيحيين خصوصا في بلاد الشام وبهذا تكون هذه الامتيازات إذانا لتفكك وانحلال العثماني[1].

و– تحليل بنود الدينية لمعاهدة الامتيازات 1536م:

تضمنت هذه المعاهدة ستة عشرة بندا [2] ثلاث منها متعلق بحرية العبادة والديانة[3]

تحليل البند الرابع:الشؤون الدينية وحرية العبادة:

من خلال معاهدة الامتيازات التي منحت من طرف الدولة العثمانية لفرنسا 1536م ومن وراءها الدولة الأوربية ككل مُنحت لرعايا الدول الأجنبية الأوربية حق زيارة بيت المقدس كما تقرر لهم عدم اضطهادهم ومضايقتهم ونظرا لمكانة فرنسا الدينية كونها الراعية الأولى للكاثوليك والبابوية والمحافظة على الديانة النصرانية والنصارى خاصة نصارى بيت المقدس فقد سمح لها بان يكون معظم الرهبان والقسيسين في كنائس بيت المقدس من الفرنسيين وبهذا يكون السلطان" **سليمان** "قد أعطى لفرنسا ولرعاياها الحرية الدينية دون أي تدخل في شؤونهم صف إلى هذا هناك مجموعة من البنود التي منحت لفرنسا ورعاياها حرية التنقل والتجارة والإقامة[4].

بهذا تكون الدولة العثمانية جلبت لنفسها إحدى الوسائل التي أدت إلى زوالها وتفككها فكانت هذه الامتيازات التي منحت لأهل الذمة إذانا لهم لتدخلهم في شؤون الدولة العثمانية كما أن مواقف السلاطين وسماحتهم اتجاه رعاياهم من أهل الذمة وبخاصة المسحيين ساهم بشكل أو بأخر في الاختراق الأوربي للسماحة الإسلامية [5].

1- إدريس الناصر الرائسي، المرجع السابق، ص267-268.

2- قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص19

3-انظر ملحق رقم (3)

4 - قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص89.

5 - ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص77.

المبحث الرابع

آثار التسامح الديني على الدولة العثمانية

أولا: الآثار الايجابية للتسامح الديني في الدولة العثمانية.

ثانيا : الآثار السلبية للتسامح الديني في الدولة العثمانية.

أولا–الآثار الايجابية لسياسة التسامح الديني على الدولة العثمانية :

لقد حققت الدولة العثمانية من سياسة التسامح الديني التي منحت لشعوب البلاد المفتوحة الكثير من المكاسب السياسية والاقتصادية والدينية وغير ذلك من الفوائد التي جنتها الدولة العثمانية من تبني هذا النظام ومن بين هاته المكاسب نجد.

1– المكاسب الدينية:

أ– اعتناق الدين الإسلامي:

أدت سياسة التسامح الديني إلى دخول العديد من الشعوب للدين الإسلامي بفعل إرادتهم وكان ذلك طوعا لا إكراها، والفضل في ذلك يعود للمعاملة الحسنة التي حضوا بها من طرف الدولة كأمان والاستقرار[1] فأتاح لهم التعرف على محاسن الإسلام عن كثب [2]، علاوة إلى انتهاج الدولة العثمانية لسياسة الترغيب لدخول الإسلام فدخل للدين الإسلامي أعداد كبيرة و بكمية هائلة.

أما الشعوب التي لم تعتنق الإسلام فلقد أطاعت الدولة وأعانتها في مختلف أمورها خاصة الحربية منها إذ شاركت مع الدولة ضد أعدائها[3]، وفضلت هاته الشعوب الحكم العثماني الإسلامي على الحكم الغربي المسيحي[4]، هكذا استطاعت الدولة العلية بفعل سياسة التسامح الديني إدخال العديد من هاته الشعوب لإسلام طواعية لا إكراه، وبهذا رفعت وعلت من راية الإسلام.

2–المكاسب السياسية:

على غرار المكاسب الدينية التي جنتها الأستانة من السماحة الدينية حققت الكثير من المكاسب السياسية وتجلت في ما يلي:

أ– إنشاء دولة إسلامية واسعة الأرجاء:

سعت الدولة العلية منذ نشأتها إلى إقامة إمبراطورية إسلامية واسعة الإرجاء [5]لذا انتهجت سياسة السماحة الدينية والحرية الشخصية لتكسب من خلال هاته السياسة تأييد الشعوب البلدان

1- زياد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص75.

2- فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري، المرجع السابق، ص77.

3- نفسه، ص81.

4- زياد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص78-79 وتضرب لنا فائقة في كاتبها "**اثر الدولة**...." مثالا عن الذين أرادوا الحكم التركي فأقوام ايطاليا تطلعوا للحكم التركي بشوق عظيم بعدما يئسوا من الحكم المسيحي للمزيد انظر المرجع ص82.

5- عبد الرؤوف سنو، "**الفتوحات الإسلامية والتسامح الديني** "، مؤتمر المسلمين التقدميين، **مجلة الحداثة**، 125-126، بيروت2009، ص1

المفتوحة[1]، واستطاعت تحقيق هذه الإمبراطورية خلال القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي في عهد "**السلطان سليم**"حينما ضم البلاد العربية إلى كنف الدولة العثمانية وأكمل بناء هاته الدولة السلطان **سليمان القانوني** من خلال الفتوحات التي قام بها في العالم المسيحي والإسلامي وتم بناء هاته الدولة من خلال مراعاة عادات الشعوب في البلاد المفتوحة فلم يستخدموا إكراه ولا العنف أثناء تعاملهم مع هؤلاء [2].

ب–رجال عظماء:

بعدما بنت الدولة العلية إمبراطورية عظيمة احتوت بداخلها مختلف الأقوام والشعوب حققت أيضا من وراء تبني مبدأ سياسة السماحة الدينية رجال كتبوا أسماءهم في التاريخ و تركوا بصمتهم ومآثرهم في مختلف المجالات، فالدولة العلية وخلال ستة قرون من عظمة والتواجد عرفت أعظم رجال من الوزراء والمعماريين ورجال الانكشارية كانوا جميعهم نتاج سياسة التسامح الديني، ولعل من أعظم هؤلاء الصدر الأعظم "**إبراهيم باشا" 1524/1536م** و المعماري"**سنان باشا**".

ب –1– الصدر الأعظم إبراهيم باشا:

إبراهيم باشا احد صدور العظام في الدولة العثمانية الدولة العلية ترك بصمته في تاريخ الصدور العظام وزاد من روعة حكم السلطان "**سليمان المشرع**".

كان **إبراهيم** يونانيا وضمن نظام الدوشرمة[3] اتصف بالذكاء والواقعية والنشاط وتمتع بحس جاد وشخصية بالغة القوة، جعل من فترة توليه منصب الصدارة العظمى **1524/1536م** الأكثر روعة في التاريخ العثماني[4] اختاره **السلطان سليمان** لتولى منصب الصدر الأعظم سنة **1524م** بعدما كان أغا باب السعادة للسلطان [5] مما أثار تعيينه ضجة في تلك الفترة وفاجئ الجميع كما أن هذا الحدث أول من نوعه لم يسمع بمثل من قبل نظرا لأنه عُين دون أن يمر بالمدرج الوزاري التي تقود العادة إليه مما أثار أعدائه عليه وولد لديهم غيرة كبيرة كوزير الثاني" **احمد باشا**" [6].

1- فائقة البحري، المرجع السابق، ص81.

2-كمال حبيب، المرجع السابق، ص408

3- عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ص363

4- روبير منتران، المرجع السابق، ج1، ص218.

5- محمد احمد محمد الثقفي، المرجع السابق، ص126.

6- روبير منتران، المرجع السابق، ج1، ص219.

وكان السلطان **سليمان المشرع** يقدر **إبراهيم** باشا ويعظمه بلغت منه العظمة إلى درجة قيام المشرع بتزويجه من إحدى شقيقاته[1]، وكان ذلك في 22ماي 1524م، وبعد هذا الاحتفال بشهريين واجه إبراهيم باشا أولى مهماته كصدر أعظم وذلك من خلال على تمرد الذي قام به "**احمد باشا** "[2].

قاد الصدر الأعظم "**إبراهيم باشا** "العديد من الحملات إلى جانب السلطان "**سليمان القانوني**" ومن بينها قضائه على تمرد **احمد باشا** بمصر كان هدا التمرد في 1524م، وبعد وصول معلومات عن هذا التمرد، تهيأ له **إبراهيم باشا** وجهز نفسه وغادر استانبول في اتجاه مهمته التي دامت أكثر من سنة وتم الفضاء خلال هاته المهمة على جميع التجاوزات التي اقترفها "**احمد باشا** "وأعاد إليها النظام الذي كان فيها في السابق بين من خلال هاته الفتنة أظهر كفاءته وقدرته الحربية بعد إتمامه مهمة القضاء على تمرد في مصر عاد إلى الأستانة بأمر من السلطان لقضاء على فتنة الجيش الانكشاري وكان ذلك في مارس 1525م واستطاع القضاء عليها وبعدها تم استئناف حملة على المجر في 23افريل 1527[3].

ب-2- المعماري سنان باشا:

المعماري **سنان باشا** احد المعماريين الكبار في الدولة العثمانية له انجازات عظيمة وكثيرة لأنه هو من كان يقوم بأعظم البناءات في الدولة العثمانية من مساجد وجوامع ومدارس وجسور، هو ابن **عبد المنان** ولد عام 895هـ/1490م في قرية أغرانص حضر إلى استانبول في عهد السلطان سليم الأول[4]، نشأ ولوعا بشق القنوات للمياه في الحدائق كما انه شغف بحب بناء الأكواخ وحظائر الحيوانات وكان سنان باشا ضمن هؤلاء الفتيان الذين جندوا في نظام الدوشرمة وأسلم حينما كان عمره ثلاثة وعشرين سنة[5] ولكونه من هذا نظام أصبح انكشاريا واشترك في حملات كثيرة مع "**سليمان القانوني**" [6].

التحق بمدرسة عسكرية وتعلم فيها القراءة والكتابة والفنون التطبيقية واختار تخصص النجارة وتلقى خلال دراسته لهذا التخصص تكون لدى مختصين كما أنه عمل خلال مدة تكوينه في بناء

1- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ج1، ص363

2- روبير منتران، المرجع السابق، ج1، ص219

3- نفسه، ص219-220.

4- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص253

5- محمد حرب، المرجع السابق، ص158.

6- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص253.

الجوامع والحمامات وسبل المياه والخانات، ولكون تواجده في الدولة العثمانية اطلع على تراث الأمم الأخرى غير العثمانية كآثار البيزنطيين من عاصمة العثمانية استانبول كما اطلع على أثار السلاجقة من البلاد الأناضول[1].

وكما أن اشتراكه في حروب عديدة أثرى هذا لديه اطلاع بنفسه على الآثار الحضارية لهاته البلدان فلقد اكتسب مهارة فنية إضافية من الفن الإيراني بعد معركة جلدران 1514م ومن الفن العربي حينما فتحت البلاد العربية في حلب ودمشق فضلا على الفن المملوكي التركماني الفرعوني من ارض الكنانة، كما أن خلال هاته الحروب اكتشفت مواهب **سنان باشا** إذ في الحملة العثمانية على إيران 1534 اشرف خلالها على بناء السفن الحربية [2]

كما انه اشترك معركة غارا بوغدان 897هـ/ 1538م قام ببناء جسر على نهر بروت في مدة قياسية حوالي 13 يوم فقط[3]، وعند وفاة عجم علي اقترح على سنان منصب كبير معماريين [4]، كان ذلك في 1539م الموافق ل898هـ وتولى منصب وبقي فيها قرابة35 سنة في هاته الوظيفة ترك في جميع أرجاء الدولة العثمانية أثار عديدة في أزمان قياسية بني خلالها أكثر من 80جامعا و80مسجدا و57 مدرسة و22 ضريحا و7دور للفقراء و17 مؤسسة خيرية و8جسور و35 قصرا و02 نزلا لعابري السبيل و48 حماما [5].

3 – المصالح الاقتصادية:

استفادت الدولة العثمانية من خيرات البلدان التي تقوم بفتحها وأصبحت الدولة العثمانية هي التي تسيطر على هاته الخيرات فزادت موارد الدولة العثمانية من خلال فرض الضرائب عليها [6]كما أنها حققت مكاسب من نظام الجزية التي تقوم بجبايتها من أهل الذمة في إطار عقد الذمة وهي بهذا تعمل بما جاء في القران الكريم إذ يقول الله عز وجل في آيته الكريمة ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾[7].

1- محمد حرب، المرجع السابق، ص 158.

2- نفسه، ص158-159.

3- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص253.

4- محمد حرب، المرجع السابق، ص158-159.

5- سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص253.

6- فائقة بحري، المرجع السابق، ص73-74

7- سورة التوبة، أية 29.

وقد قدرت الجزية على حسب الفئات من الذكور والإناث وراعت فيها حالتهم الاجتماعية كالفقراء12درهم سنويا والأغنياء 48 درهم سنويا ومتوسطي الحال 24درهم كما أنها اختلفت من ولاية إلى أخرى على حسب مداخل كل إيالة وأعفت النساء وكذلك الأطفال والمرضى من دفع الجزية [1] ولكن بالرغم من هذه التسهيلات ممنوحة لأهل الذمة في الباب العالي وقلة مقدار الجزية إلا أنها حققت منها أرباح كثيرة من خلالها ،نظرا لأنها تطبق شرع **الله** في طريقة تسير شؤون البلاد .

أما بالنسبة للفوائد التي حققت من سياسة التسامح مع الرعايا الأجانب في إطار المعاهدة الامتيازات سهلت عملية التجارية خاصة بعد اكتشاف رأس رجاء صالح نقص التعامل مع العثمانيين، فكان لزاما عليها أن تجد بديلا لكي تبقى على صلة اقتصادية مع الدول الأوربية.

هكذا حققت الدولة العثمانية من سياسة السماحة الدينية التي اتبعتها خلال فتوحاتها في مختلف أقطار فوائد كثيرة وفي مختلف المجالات فاستطاعت أن ترفع وتعلي من راية الإسلام كما أنها حققت مبتغاها والذي لطالما كانت تسعى إليه دولة أو بالأحرى إمبراطورية إسلامية واسعة الأرجاء بشهادة العالم الغربي لها .

ثانيا – الآثار السلبية لسياسة التسامح الديني على الدولة العثمانية:

1-كمال سعيد الحبيب، المرجع السابق، ص408-409.

لقد تأثرت الدولة العثمانية من سياسة تسامحها الديني في العديد من المجالات السياسية منها والاقتصادية والعسكرية، على الصعيدين القريب والبعيد، فمعاملتها الحسنة لأهل الذمة فتحت المجال للعديد من الذميين لتدخل في شؤون الدولة وهذه من نقاط الضعف فيها وبداية تحول مراكز القوى.

إذ تحققت جميع مصالح السلاطين بفضل التسامح مع المجتمعات الذمية، لكن مع مرور الزمن أصبحت هذه المجتمعات يصعب التعاون معها بل أضحى أمرا مستحيلا، نظرا لتحول المسألة من الولاء الديني إلى الولاء القومي، وبهذا بدأت تنمو هذه الفكرة أصبحت فيما بعد تطالب باستقلال عن الدولة العثمانية مثلما حدث مع اليونان والصرب والأرمن و أضحى هذا يشكل خطرا على الدولة عثمانية[1]، فتسلل أهل الذمة لدوائر الدولة العثمانية من خلال عدة مجالات كالصناعة والتجارة، الترجمة، الاستشارة، وحتى الوزارة، فتح المجال أمامهم للتحكم بمقاليد السلطة[2].

فمثلا في مجال الترجمة كانت المكاتبات السياسية التي يرسلها السلطان" **محمد الفاتح** "من ديوانه إلى الغرب وكذلك المعاهدات التي يعقدونها معه تكتب باللغة الرومية تكتب من طرف هؤلاء الذميين ونكتب على حسب هواهم وبتحريض من كنائسهم كل ذلك بغية تحقيق مصالحهم في الدولة العثمانية[3].

إذ كانت الكنيسة حريصة على تثقيف أبنائها لتمكنهم من الترقي في المناصب الحساسة و من أبرزها في ذلك الوقت الترجمة ومعاملات الخارجية فاتحة أمامهم مدراس لتعلم مختلف اللغات الأجنبية[4]، وكان أغلب المترجمين يديرون العلاقات بين الصدر الأعظم ومساعده مع رئيس الكتاب"وزير الخارجية "من ناحية وبين سفراء الدول الأجنبية من ناحية أخرى، ومن هنا يتضح الدور الذي يلعبون به في مقدرات الدولة إذ أنهم يشكلون خطرا دائما على الدولة إذ يستطعون إحداث تحريفات والتغيرات وفي شتى المجالات بالترجمة التي كلفوا بها التي من شانها أن تضر الدولة[5].

واكتشفت الدولة العثمانية خيانة المترجمين النصارى حين قامت بتفتيش مفاجئ للبطريركية في استانبول فوقع في يد المسؤولين الحكوميين العثمانيين وثائق تخص الدولة، فاتخذت الدولة تدابير

1- هاميلتون غب، المرجع السابق، ص 330-331.

2- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص33.

3- ثريا شاهين، **دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية**، تر، محمد حرب، ط1، دار المنارة، جدة، 1418هـ، ص61.

4- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص40.

5- ثريا شاهين، المرجع السابق، ص16-17.

اللازمة من خلال منع تعيين النصارى في إدارة الترجمة كما استبدل هؤلاء بالعثمانيون، فتم تعيين **يحي أفندي** خليفة رئيسا[1].

فسياسة التسامح السلاطين مع أهل الذمة وإعطائهم الحق في تولي مناصب حساسة في الدولة أدى بهم إلى تلاعب بمصير الدولة مما اثر عليها بالسلب على بلاد والعباد فقد قال **الله** تعالى ﴿ **هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوهم قالوا أمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ،وان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها**﴾ [2].

إن احتفاظ الأقليات الدينية بجنسياتها ولغاتها كان من أهم العوامل التي تمخض عنها التدخل الأوروبي في الأراضي العثمانية في عصور الضعف والانحلال كما تمكنت الأقاليم الدينية من التخلص من سلطة العثمانيين بحكم تعاملهم التجاري مع الجاليات الأوروبية[3]، وهذا يعني التوظيف السياسي للأقليات بغض النظر عن المذهب أو اللغة وهي أهم الوسائل التي اتبعتها الدول الأوروبية لغرض تفكيك الدولة العثمانية، كما أن نظام الملة العثماني بدأ يتفكك فمع ضعف الدولة العثمانية بدأ تعاظم قوة نفوذ الخارجي داخلها، وسعت القوى الخارجية لجذب أنصارها وأتباعها، مما أدى إلى تفتيت نظام الملة وجعل محله نظام طائفي شرذم التنظيم الاجتماعي للدولة العثمانية [4].

كان هذا أحد أسباب أو الآثار السلبية لسياسة التسامح الديني على الدولة العثمانية، فرغم ما قامت به من تنظيمات لأهل الذمة وما قدمته من تسهيلات إلا أن كل هذه الأمور لم تجدي نفعا في كسب ولائهم والتخلي عن تعصبهم الديني للإسلام والمسلمين بشكل عام وضد الدولة العثمانية بشكل خاص.

1-الامتيازات الأجنبية:

فالامتيازات الأجنبية التي أبرمت لأول مرة بين "**فرانسوا الأول**" ملك فرنسا والسلطان "**سليمان القانوني**" عام 1535م، كانت نافذة لبداية التدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية لاحقا ورغم أن هذاهو منطق تسامح الإسلام مع أهل الديانات الأخرى، والتطبيق الصحيح لإحكام

1- ثريا شاهين، المرجع السابق ص22 -24.

2- سورة آل عمران، آية 119-120.

3- ياسر عبد العزيز قاري، المرجع السابق، ص 15-16.

4-كمال سعيد حبيب، المرجع السابق، ص144.

الشريعة الإسلامية بإعطائهم امتيازات تعفيهم من الخضوع للقانون العثماني[1]، ومنذ ذلك الحين بدأ التغير – وللأسف- في سياسة الدولة في معاملتها لأعدائها من لغة السيف أو الجزية أو طلب الدخول في الإسلام إلى المحادثات الدبلوماسية والموائد المستديرة، فالامتيازات الأجنبية بدأت منحة ثم تحولت إلى مطالب وحقوق ممن هم في الخارج لمن هم في داخل البلاد، وأصبحت مع مرور الوقت ضغطا وانهزاما واستعلاء على الدولة، ليبدأ عصر انحطاطها وسقوطها[2]،

فالامتيازات في بادئ الأمر أو في عصر القوة للدولة العثمانية وسيلة لتمزيق وتشتيت الصف الأوروبي ثم انعكست الأدوار في مرحلة ضعفها[3]، حيث تمكن الأجانب من احتكار العديد من الجوانب الاقتصادية في الحياة العثمانية، بواسطة الجاليات اليهودية والأرمينية وغيرها التي سهرت على رعاية وخدمة مصالح تجار أوروبا على الرغم من كونهم كانوا يدينون بالتبعية لدولة العثمانية[4].

2-نظام الدوشرمة

ومن جهة أخرى نجد أن نظام الدوشرمة الذي اتبعته الدولة العثمانية والذي يعد تعبيرا واضحا عن تسامحها، بحيث حصلت على عاتقها بموجب هذا النظام الإنساني رعاية الصبيان المسيحيين لأن الإسلام دين رأفة ورحمة[5].

ورغم ما قدمته الدولة العثمانية من تسهيلات وامتيازات لنظام الدوشرمة إلا أنهم كانوا أحد أسباب انهيار السلطة والحكم، فلما أراد السلطان محمد الفاتح القبض على زمام الحكم في الدولة قام بتنحية الوزارة الأولى الذي كان يشتغلها أمراء الأسرات التركمانية ولجا إلى نظام الدوشرمة، ومكنهم من تولي مناصب عليا في الدولة، ومنذ ذلك الحين اعتمدت الدولة العثمانية في مؤسساتها الإدارية والعسكرية.

على هذه الفئة فصار منهم الجنود والقادة و وزراء [6]والذين كانوا حديثي العهد في الإسلام وهذا يعني أن المؤسسات العثمانية كانت مفتوحة لكل مواطني الدولة بغض النظر عن المعايير العرقية أو القومية لتبدأ التلاعبات خدمة المصالح الشخصية[7].

1- فايز محمد حسين محمد، **الشريعة و القانون في العصر العثماني والعلاقة بنظام الملل**، د.ط، د.ب، د.س، ص 27.

2- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص 61.

3- ياسر بن عبد العزيز القاري، المرجع السابق، ص78.

4- نفسه، ص17

5- فائقة محمد حمزة، المرجع السابق، ص 71

6- سيد محمد سيد، المرجع السابق، ص 355.

7-كمال سعيد حبيب، المرجع السابق، ص 314.

فلقد دب الفساد في هذا النظام منذ أواخر القرن 16م، ويظهر من خلال وصول أفراد غير أكفاء إلى مناصب الحساسة العليا في الدولة، إذ أن فساد هذا النظام كان سببا في الاضطراب وضعف سلطة السلطان نفسه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عدم خضوع الدوشرمة للبرامج الدينية والتربوية اللازمة أدى إلى قلة الإخلاص والتضحية، الأمر الذي جعل الكثير منهم يرتد عن الإسلام وينحاز بما لديه من فرق عسكرية أو سفن حربية إلى دول الأجنبية علاوة على تسليمهم الولايات والقلاع المكلف بحمايتها إلى أعداء عندما بدا نجم آل عثمان بالأفول[1].

3-الزوجات الأجنبيات:

كما كان لزوجات السلاطين الأجنبيات أي المسيحيات أو الكتابيات اللاتي كن من غير الأتراك، دور فعال في انهيار الدولة العثمانية، بحيث وصلن بحكم كونهن زوجات وأمهات السلاطين ذوات نفوذ قوي إلى مناصب عالية وإن كانت غير رسمية مكنتهن من التدخل في شؤون الدولة و التحكم في السلاطين وموازين القوى داخل الدولة وقدرتهن على تعيين مقربين منهن ضمن في مناصب حساسة خاصة في منصب الصدارة العظمى وذلك بفضل دعم مباشر منهن وكان نتيجة ذلك أصبحت السلطة في أيدي هؤلاء الأجانب بينما همشت الأسر التركية العريقة على هامش[2].

ويظهر تدخل هاته الفئة في عهد السلطان **سليمان القانوني** الذي يعد بداية الحقيقية لرحلة دولة طويلة نحو السقوط والانهيار، فقد بدأ السلطان نفسه في ضرب المعول الأول في حائط الدولة، فقد راح يخضع لرغبات زوجته حرم السلطان "**روكسلانة**" ذات أصول اليهودية والتي اعتنقت الإسلام غير قناعة كما أنها سعت لتولية ابنها العرش بدل أخيه الأكبر" **مصطفى**" [3]، كما رتبت تعيين "**رستم باشا**" صهرها صدرا أعظما بدل "**إبراهيم باشا**" بعدما دبرت أمر اغتياله ليكون "**رستم باشا**" ظهيرا وعونا لها لتحقيق أهدافها[4]

وبهذا تم تدخل نساء السراي في شؤون الدولة بداية لتولية سلسلة طويلة من السلاطين الضعاف الذين سوف يؤدون بدورهم إلى سقوط الدولة العثمانية [5].

1- سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص ص355- 356.

2- محمد أحمد محمد الثقفي، المرجع السابق، ص 69.

3- سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص 364.

4- ماجد بن صالح المضيان، المرجع السابق، ص 51.

5- سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص365 يقول المستشرق بوون في تعليقه عن تسلل نفوذ الحريم في أجهزة الحكومة "إن كلمة واحدة تصدم عن قادين فكانت تصنع الأعاجيب في معظم الأحوال.

4-يهود الدونمة:

أما عن اليهود الدونمة وهي كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي "donemeh" بمعنى الرجوع أو العودة أو الارتداد، وقد أطلق العثمانيون هذه الصفة على اليهود الذين هاجروا من اسبانيا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا بالإسلام[1]، ونظرا لما عرف عن هؤلاء من نشاط بارز في الحياة الاقتصادية ولما كان لهم من صلات عالمية قوية بأصحاب النفوذ من اليهود في معظم الدول الأوروبية تم الاستعانة بهم في إنعاش الحركة التجارية والمالية الداخلية[2].

كانت سماحة الإسلام وتساهل المسلمين في التعامل مع هؤلاء اليهود لم تجدي نفعا في كسبهم، رغم إتاحة الفرصة لهم، بحيث تسلم بعضهم المناصب الوزارية والمسؤوليات القيادية، كما فتح المسلمون أبوابهم وصدورهم لاستقبال ضحايا الاضطهاد الديني في أوروبا نفسها[3]، إلا أنهم ما أن سنحت لهم الفرصة حتى تحالفوا مع القوى الخارجية لإثارة القوميات بفضل تمكنها من الوصول إلى مواقع صنع القرار في الدولة[4].

وكانت النتيجة ذلك انهيار الخلافة الإسلامية على يد طائفة الدونمة التي تنتمي ليهود الأندلس[5]لعب الجانب الإيجابي للتسامح الديني في الدولة العثمانية دورا فعالا في بقائها لعدة قرون إلا أن الجانب السلبي كان له نصيب الأسد في القضاء على الخلافة العثمانية، كون أن هؤلاء الذميين على اختلاف طوائفهم لم يقدروا هذه المعاملة الحسنة ولم يكونوا على قدر كاف من الثقة.

1- هيلة بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص 16.

2- موسى نصر، المرجع السابق، ص 16.

3- موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص184

4- هيلة بن محمد السليمي، المرجع السابق، ص 16.

5- موفق بني المرجة، المرجع السابق، ص 184.

خاتمة

خاتمة :

لقد عمل السلاطين العثمانيين منذ العهد الأول للسلطنة على تحقيق العدل بين مختلف رعايا الدولة متبعين سياسة التسامح الديني لاستمالة البلدان المفتوحة، مطبقين تعاليم الدين الإسلامي، وقد أقرت للجماعات الذمة حكما ذاتيا بحفظ حقوقهم، ومن المهم جدا أن نشير إلى أن التسامح مع جماعات غير المسلمة في الدولة العثمانية ليس خاصا بالعثمانيين وتاريخهم فقط لان التسامح هذا نابع في الواقع من موقف الإسلام نفسه، لكن السلطان **محمد الفاتح** عمل في فترة حكمه 1451/ 1481 م على تنظيمهم ضمن إطار نظام ملل العثماني .

بحيث أن وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية لهو دليل على التسامح الديني وسماحة الإسلام وان وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية أتاح الفرصة للمسيحيين الذين عاشوا داخل إطار السلطنة لتعرف على محاسن الإسلام، وقد كان لهذا التسامح أثره العميق في دخول آلاف المسيحيين واليهود في الدين الإسلامي والإقبال المنقطع النظير للتمتع بعدالة الإسلام.

إن الدولة العثمانية استوعبت بداخلها كل هذه الملل والأجناس وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به غير المسلمون من السماحة الدنية، مما شجع الكثير من أهالي الشعوب المفتوحة على الانخراط في ظل الدولة العثمانية والتمتع بالمزايا الرفيعة التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية، وذلك إشارة ظاهرة على عظمة الإسلام ومعتنقيه من العثمانيين.

كما عمل السلطان" **سليمان القانوني**" على تكملة ما قام به أسلافه وتطبيق القوانين بكل عدل ومساواة، فقد كان لا يفرق بين رعايا الدولة العثمانية فكلهم متساوون أمام القانون مهما كانت ديانتهم.

وكان السلاطين يرون في الرعايا أمانة وضعها الله في أعناقهم كما يتم رفع الظلم عنهم وقد حقق السلاطين العثمانيين الذين حكموا في هذه الحقبة الزمنية ذلك فعلا فأحسنوا إلى رعاياهم واكتسبوا إخلاصهم فاقترنت صفات الحزم والشدة بصفات التسامح والعدل ومنحوهم عدة امتيازات في مختلف المجالات كإسكانهم في أحياء خاصة بهم وتمتعوا بحماية الدولة في تأدية أعمالهم اليومية وطقوسهم الدينية بحرية كاملة لتتطور مطالبهم إلى امتيازات تجارية واقتصادية إلا أن هذا التسامح الديني بدا يمس

بكيان الدولة العثمانية من خلال حياكة الدسائس والمؤامرات ضد سلاطين بني عثمان والتحكم بمقاليد الحكم.

ومن جهة أخرى فإن منح الدول الأجنبية امتيازات تمكنت من خلالها من التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية بالإضافة إلى ظهور القوميات المطالبة بالانفصال وكان هذا من أسباب سقوط الدولة العثمانية والتي كانت في وقت مضى تعاني من الحكم الاستبدادي، وفي الأخير يمكن القول إن التسامح الديني في الدولة العثمانية كان له الأثر العظيم في نفوس غير المسلمين ليعرفوا مدى سماحة الإسلام وعظمته.

ملاحق

ملحق رقم (1)جدول يمثل توزيع السكان خلال الأعوام **1535/1520**طبقا لدفاتر التحرير السلطان سليمان القانوني[1]

الايالات	عدد الأسر تكتب بالمائة			مجموع الأسر	السكان بمعدل خمسة اشخاص لكل اسرة
	مسلمون	مسيحيون	اليهود		
الأناضول	517،813	8،511	271	526 ،595	2،632،975
قرمان	134،452	3،127	/	137،579	687،895
ذولقدرية	64،102	2،631	/	66،733	333،665
ديار بكر	70،858	11،938	288	83،084	415،420
اليونانيون	116،772	51،662	/	168،434	842،170
العرب	113،358	914	/	114،272	571،360
الفئات العسكرية	50،00	/	/	50،00	250،00
المجموع	1،067،355	78،783	559	1،146،696	5،733،475
منطقة الروملي	194،958	862،77	4،134	1،067،799	5،308،995
مدينة استانبول	46،635	25،295	8،070	80،00	400،000
الفئات العسكرية	50،00		/	50،00	250،000
المجموع	291،593	888،002	12،204	1،191،699	5،987،995
المجموع العام	1،358،948	966،785	12،763	2،338،496	11،692،480

1 -أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص556.

الملحق رقم (2) :جدول يمثل الشرائح الدينية للسكان في المدن الأوربية الكبرى اعتمادا على إحصاء 1520-1530م[1]

	المسلمون %	**المسيحيون %**	اليهود %	**نسبة المسلمون في القضاء الذي تقع فيه المدينة حسب الإمكانات%**
استانبول(1478)	58،2	31،6	10،2	/
أدرنة	82،10	12،80	5،1	26،00
تسالونيكا	25،10	20 ،20	54،30	/
سراييفو	100	/	/	46
لاريسا	90،20	9،80	/	17،50
سيريز	61،30	32،80	5،90	/
مونستير	75،40	20 ،20	4،80	10،50
سكوبيه	74،80	23،70	1،50	10،50
صوفيا	66،40	23،60	/	6
أثينا	05	99،5	/	/
نيقوبوليس	37،70	62،30	/	/
تريكالا	36،30	41،50	22 ،22	17،50

1 - بيتر وشجر، المرجع السابق، ص69

الملحق رقم (3):بنود الدينية لمعاهدة الامتيازات 1536م [1]:

البند الرابع:

لا يجوز سماع الدعاوى المدنية التي يقيمها الأتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلال السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدعي عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضي الشرعي أو القنصل الفرنساوي وفي حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعوى أو شهادة مقدمها إلا بحضور ترجمان القنصل.

البند السادس:

لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين ومستخدميهم وخادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضي أو السنجق بيك أو الصوباشي أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي ومن جهة أخرى يكون مصرح لهم بإتباع شعائر دينهم ولا يمكن جبرهم على الإسلام أو اعتبارهم مسلمين ما لم يقروا بذلك غير مكرهين

البند الخامس عشر :

كل تابع لملك فرنسا إذا لم يكن أقام بأراضي الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أي ضريبة أيا كان اسمها ولا يلزم بحراسة الأراضي المجاورة أو مخازن جلالة السلطان ولا بالشغل في الترسانة أو أي عمل آخر وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة في بلاد فرنسا وقد اشترط ملك فرنسا أن يكون للبابا وملك انكلترا أخيه وحليفه الأبدي وملك ايقوسيا الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلالة السلطان ويطلب منه اعتماد ذلك في ظرف ثمانية شهور تمضي من هذا اليوم.

1 -محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص223-229

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

السنة النبوية

أ–المصادر :

1- إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العثمانية العلية "التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية"**، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1998م.

2- ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ط1، دار المصادر، بيروت، دت

3-الاشبيلي علي بن محمد اللخمي، **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح، ارنست هانس، دار الحياء، 1962م.

4- باتريك ماري ملز، **سلاطين بني عثمان**، ط1، مؤسسة عز الدين، مصر، 1986م.

5- دوسون مراد جه، **نظم الحكم والإدارة في الدولة العثمانية**، تر، فيصل شيخ الأرض، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1942م.

6- زاده شكيري، **الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية**، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975م.

6- سعدي أبو جيب، **القاموس الفقهي** مادة (ذمة).

7- مبارك علي باشا **من خطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ج1، ط1، مطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1305ه.

8- المحامي محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح إسحاق حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م.

9- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح محمد محفوظ، م2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

10- هابسترايت ج.أو، **رحلته إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145ه/1732م**، تر وتق وتع، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

ب– المراجع :

1- أبو غنيمة زياد، جوانب مضيئة من تاريخ العثمانيين الأتراك، ط1، دار الفرقان، عمان، 1983م.

2-أصاف عزتلو يوسف بك، **تاريخ سلاطين بني عثمان من نشأهم حتى الآن**، تق محمد زينهم– محمد عزب، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، (1986-1995)م

3- أق كوندوز أحمد و أوزتورك سعيد، **الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، د.ط، وقف البحوث العثمانية، استانبول، 2008 م.

4-أوغلي أكمل الدين إحسان، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، م2، د.ط، استانبول، 1999م.

5-إينالجيك خليل، **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، تر محمد. م.الأرناؤوط، ط1، المدار الإسلامي، بيروت.

6- بتروسيان ايرينا، الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، ط، مركز جمعة ماجد لثقافة والتراث، دبي 2006م.

7-بركات مصطفى، **الألقاب وظائف عثمانية "دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية1517/1924م** "، د.ط، دار الغريب، القاهرة، 2000م.

8-برنارد لويس، **استانبول حضارة الخلافة الإسلامية**، تع سيد رضوان علي، ط2، دار السعودية للنشر والتوزيع، رياض، 1982م.

9-بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ، 1988م

10-أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر عدنان محمود سليمان، مر محمود الأنصاري، ج1، د.ط، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.

11-بني المرجة موفق، **صحوة الرجل المريض**، د.ط، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1984م.

12-التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، ط1، دار النهضة، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

13- حرب محمد، **العثمانيون في التاريخ والحضارة**، د.ط، المركز المصري لدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، القاهرة، 1994م.

14-الحويري محمد محمود، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، ط1، المكتب المصري، القاهرة، 2002م.

15-خير فلاحة محمد، **الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد**، د.ط، د.د.ن، د.ب، دس

16- درويش هدى، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين**، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 2000م.

17-الرائسي إدريس الناصر، **العلاقات العثمانية الأوربية في القرن السادس عشر**، ط1، داري الهادي، بيروت، 2007م.

18- ريمون اندريه، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر لطيف فرج، ط1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1991م.

19- سبنسر وليم، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق، عبد القادر زبادية، د.ط، دار القصبة، الجزائر، 2006م.

20-سيد رضوان علي **فتح الإسلامي في أوروبا الشرقية**، ط1، دار السعودية للنشر و التوزيع، الرياض، 1986م.

21- شاهين ثريا، **دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية**، تر، محمد حرب، ط1، دار المنارة، جدة، 1418هـ.

22- الشناوي عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الآنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

23- الصميدعي زياد حمد و الكيلاني جمال الدين فالح، **تاريخ الدولة العثمانية "رجال وحوادث"**، ط1، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، المغرب، 2013م.

24- طقوش محمد سهيل، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط 3، دار النفائس، لبنان، 1434هـ/2013م.

25- العزاوي قيس جواد، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط**، ط2، الدار العربية للعلوم، مركز دراسات الإسلام والعالم، ط1، 1994 م.

26- غب هاميلتون و باون هارولد، **المجتمع الإسلامي والغرب، دراسة حول تأثير الحضارة المغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر ميلادي**، تر أحمد ايبش، مج1، ط1، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي 2012 م.

27- فهمي عبد السلام عبد العزيز، **السلطان محمد الفاتح**، ط5، دار القلم، دمشق، 1993م

28- قاران نزار، **سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشارية**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت.

29-كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م-1908/1هـ -1325هـ)**، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 2002م.

30-كولز بول، العثمانيون في أوروبا، تر، عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

31- مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر بشير السباعي، ط1، ج1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1993م.

32- محمد علي الصلابي، **فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح**، د.ط، دار الإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001 م.

33- محمد فايز محمد حسين، **الشريعة و القانون في العصر العثماني والعلاقة بنظام الملل**، د.ط، د.ب، د.س.

34- محمود، سيد محمد السيد **تاريخ الدولة العثمانية، النشأة الازدهار**، د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.

35- مصطفى احمد عبد الرحيم، **في أصول التاريخ العثماني**، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003م،

36- المغازي أماني بنت جعفر بن صالح، **دور الانكشاريون في إضعاف الدولة العثمانية**، ط1، دار القاهرة، 2007م.

37- نصر موسى موسى، **صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

38- ياغي إسماعيل أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**، ط2، مكتبة العبيكان، د.ب، 1998م.

39-الطيار فهد بن عايش بن محمد، **فتح مدينة القسطنطينية (875هـ/1453م)**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، تبوك، 2002 م.

40- شوجر بيتر، **أوربا العثمانية 1804/1354م في أصول العرقي في الصرب والبوسنة**، تر، عاصم الدسوقي، ط1، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998 م.

41-علي أورخان محمد، **روائع من تاريخ العثماني**، ط3، دار الكلمة، مصر، 2007م.

42- العودات حسن، **العرب النصارى**، ط1، دار لأهالي، دمشق، 1992م.

43- نعيسة يوسف، **يهود دمشق**، ط1، دار المعرفة، الإسكندرية، 1988م.

أ-المقالات العربية :

1-أبو نهرا جوزيف، "**المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني**"، المؤتمر الدولي "**خطاب الجماعات المسيحية في الشرق الأدنى زمن التحولات 24و26 كانون الثاني2013م**"، مركز الشرق المسيحي للبحوث والمنشورات، جامعة القديس يوسف، لبنان، 2013م.

2-سنو عبد الرءوف، "**الفتوحات الإسلامية والتسامح الديني** "، مؤتمر المسلمين التقدمين، نشر مجلة الحداثة، 125-126، بيروت، 2009.

3-الصائغ بان غانم احمد، "**سياسة بريطانيا اتجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية 1839/1914م دراسة تاريخية** "، مجلة التربية والعلم، ع5، كلية العلوم السياسية، الموصل، 2012م.

4- العريض وليد، **تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وأثارها**

ب–الأطروحات والرسائل :

1- البحري فائقة محمد حمزة عبد الصمد، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف علي رابع الثقفي، قسم الدراسات العليا التاريخية، والحضارية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1989م، مرقونة.

2-الثقفي محمد، **زواج السلاطين من الأجنبيات وأثره على إضعاف الدولة**، مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف علي رابع الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

3- السليمي هيلة بنت سعد محمد، **دور اليهود في إسقاط الدولة العثمانية**، مذكرة تخرج للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا والتاريخية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، مرقونة

4- نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، رسالة دكتورة في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد الطيف البحراوي، كلية الشريعة والدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، مرقونة، 1987، م.

5-القاري ياسر بن عبد العزيز، **دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية**، رسالة دكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور يوسف بن علي الثقفي، ج1، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001م، مرقونة.

6-المضيان ماجد بن صالح، **اثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة (926هـ-1343هـ/1520م-1924م)**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1995م، المملكة العربية السعودية، ، مرقونة.

القواميس :

1- صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، مر عبد العزيز محمد حسن بركان، د.ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000م.

الفهرس

فهرس المحتويات **الصفحة**

المقدمة..... أ
المدخل..... 7
المبحث الاول :نظرة الدولة العثمانية متسامحة من خلال محمد الفاتح
أولا- السلطان محمد الثاني (الملقب بالفاتح)..... 11
1-مولده و نشأته..... 11
2- أهم أعماله..... 15
3- وفاته..... 15
ثانيا : تعامله مع أهل الذمة..... 16
ثالثا: تعامله مع اليهود..... 20
المبحث الثاني: سياسة التسامح الديني في عهد السلطان بيازيد الثاني والسلطان سليم الأول
أولا - نبذة تاريخية عن السلطان بايزيد الثاني وابنه السلطان سليم الأول..... 24
1- نبذة تاريخية عن السلطان بايزيد الثاني 1512/1481م..... 24
أ- مولده ونشأته..... 24
ب- صفاته..... 25
ج- حملاته..... 25
د- أعماله وانجازاته..... 26
هـ-وفاته وصراع على السلطة..... 26
2- نبذة تاريخية عن السلطان سليم الأول..... 26

أ- المولد والنشأة..... 26
ب- ألقابه وصفاته..... 27
ج- حملات واهم انجازات السلطان سليم الأول..... 28
د- زوجاته و أولاده..... 28
ثانيا: سياسة التسامح الديني في عهد السلطان بيازيد الثاني..... 29
سياسة التسامح مع يهود الأندلس..... 29
أ- توطين اليهود و إسكانهم..... 30
ب – الامتيازات التي حصل عليها يهود الأندلس..... 31
2-السلطان بايزيد الثاني والامتيازات الممنوحة لرعايا الأجانب..... 32
ثالثا: التسامح الديني في عهد سليم الأول..... 34
1-سياسة التسامح بعد فتح البلاد العربية..... 35
أ- فتح البلاد العربية..... 35
1-المشرق العربي 1516م-922هـ..... 35
2-البلاد المغرب العربي..... 36
ب- نموذج ملة اليهود في البلاد العربية..... 38

المبحث الثالث: مظاهر التسامح الديني من خلال السلطان سليمان القانوني

أولا :نبذة تاريخية عن السلطان سليمان القانوني 1520م/1566م..... 41
1- المولد والنشأة..... 41
2- ألقابه وهوايته وفاته..... 42
3-غزواته وسراياه..... 42
4- أعماله وانجازاته..... 43
5-وفاته..... 44
ثانيا – نظام الدوشرمة..... 45

1- نشأة نظام الدوشرمة..... 45
2- استمرارية نظام الدوشرمة..... 47
3- مناصب التي يتولاها الدوشرمة..... 48
ثالثا – سياسته مع رعايا الدولة ورعايا الأجانب..... 49
1- سياسته مع رعايا الدولة..... 49
أ- تعداد أهل الذمة في عهد سليمان
القانوني..... 50
2- سياسته مع الرعايا الأجانب..... 50
أ- بداية التعامل مع الرعايا
الأجانب..... 51
ب- دوافع منح معاهدة الامتيازات
1536م..... 51
ج- الامتيازات في عهد السلطان سليمان القانوني..... 52
د- ظروف إبرام الامتيازات1536 م..... 52
هـ- طبيعة بنود معاهدة الامتيازات1536
م..... 52
و- تحليل بنود الدينية لمعاهدة الامتيازات
1536م..... 53
تحليل البند الرابع:الشؤون الدينية وحرية
العبادة..... 53

المبحث الرابع: أثار التسامح الديني على الدولة العثمانية

أولا-الآثار الايجابية لسياسة التسامح الديني على الدولة العثمانية..... 55
1- المكاسب الدينية..... 55
أ- اعتناق الدين الإسلامي..... 55
2-المكاسب السياسية..... 55
أ- إنشاء دولة إسلامية واسعة الأرجاء..... 55
ب-رجال عظماء..... 56

ب -1- الصدر الأعظم إبراهيم باشا..... 56
ب-2- المعماري سنان باشا..... 57
3 - المصالح الاقتصادية..... 58
ثانيا – الآثار السلبية لسياسة التسامح الديني على الدولة العثمانية..... 60
1-الامتيازات الأجنبية..... 61
نظام الدوشرمة..... 62
2-الزوجات الأجنبيات..... 63
3-يهود الدونمة..... 64
الخاتمة..... 66
الملاحق..... 68
البيبليوغرافيا..... 73
الفهارس..... 79